٣

اتجاهات السياسة الرومانية في مصر (٣٠ ق.م – ٢١١م)

directional of Roman politics in Egypt

(30 BC - 211 AD)

م.م.إخلاص لطيف رشيد

Ekhlas Latif Rasheed

الجامعة العراقية ـ كلية التربية للبنات/ قسم التاريخ

Iraqi University - College of Education for Girls/

Department of History

الكلمات المفتاحية: الرومان، السياسة الاستعمارية، مصر.

Keywords: Romans, colonial policy, Egypt.

الملخّص:

انتهج الرومان عند احتلالهم مصر سياسة تهدف إلى رومنة مصر دون المصريين، حيث حرموهم من المشاركة في إدارة البلاد، وسعوا إلى منعهم التمتع بخيراتهم ونهب موارد البلاد، فعاش المصريون غرباء في أرضهم، حيث سعى الرومان للحط من مكانة المصريين حينما شوهوا سمعتهم ووصفوهم بالعنف والسذاجة، فضلاً عن نشر ثقافة الهزيمة والخنوع بين المصريين كجزء من سياستها الاستعمارية في احتلال مصر أطول زمن ممكن، وبذلك عزل مصر عالمها المحيط بها، واستطاعوا إحكام القبضة الأمنية عليها، وقاموا ببناء شبكات الطرق البرية، وإقامة عشرات القلاع والحصون على طول الخطوط التجارية، حتى أصبحت قاعدة لانطلاق حملاتها العسكرية ضد الحبشة سنة ٢٩ ق.م، وضد اليمن (العربية السعيدة) سنة ٢٤ ق.م، أو للمشاركة في الحرب اليهودية الأولى ٦٩- ٧١م.

Abstract:

When they occupied Egypt, the Romans pursued a policy aimed at Romanizing Egypt without the Egyptians, as they deprived them of participating in the country's administration, and sought to prevent them from enjoying their goods and plundering the country's resources. So the Egyptians lived as strangers in their land, as the Romans sought to degrade the status of the Egyptians when they distorted their reputation and described them as violent and naive. In addition to spreading the culture of defeat and submission among the Egyptians as part of its colonial policy of occupying Egypt for the longest possible time, thus isolating Egypt from its surrounding world, they were able to tighten the security grip on it, and they built land road networks, and established dozens of castles and forts along trade lines, until it became a base. For launching its military campaigns against Abyssinia in 29 BC, and against Yemen (Arabia Felix) in 24 BC, or for participating in the First Jewish War 69-71 AD.

المقدمة

كانت مصر من العصر القديم تلهب خيال الرومان، فسحرها الطبيعي الأخاذ، ومناظرها المدهشة، وعظمتها ومجدها التليد وثرواتها وأهراماتها كانت تشد كل من شاهدها أو سمع عنها، لذلك بدأت أطماع الرومان في احتلالها منذ الوقت الذي شعروا فيه بضعف ملوك مصر البطالمة، وعدم قدرتهم على حماية مملكتهم. ولم تختلف تلك الصورة التي رسمها الرومان لمصر قبل أن يتم احتلالها عن الصورة التي شاهدوها بعد احتلالها، فسعى الرومان لنهج سياسة استعمارية فيها مختلفة عن باقي عن باقي الولايات (المستعمرات) الرومانية، واقد انتهجوا هذه السياسة في مصر حتى شملت مختلف أوجه الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية: فبعد أن احتل الرومان مصر تدخلوا في عادات الناس وديانتهم وثقافتهم، واحكموا قبضتهم على اقتصادها ونهبوا مواردها وثرواتها (لاسيما القمح والمعادن)، وسعوا إلى عزلها عن محيطها الخارجي، وتفتيت بنية المجتمع المصري في

الداخل، وإفقار أفراده من خلال فرض الضرائب والسخرة والتحكم بالواردات. وأخذت السياسة الاستعمارية الرومانية في مصر أبشع ممارساتها في حرمان المصريين من حق التطوع في الجيش في الوحدات المساعدة للفيالق الرومانية طوال القرن الأول الميلادي، أو الحصول على حق المواطنة الرومانية، أو حق المشاركة في إدارة بلادهم؛ فعاش المصريون غرباء في مصر. ولتكريس السيطرة الرومانية على مصر اتخذت روما مجموعة من الاجراءات الأمنية كان أهمها ضمان الوالي الروماني في مصر؛ حتى لا يستقل بها، ومد شبكة من الطرق الرومانية السريعة فيها. وشوهت صورة المصريين في أرجاء الإمبراطورية الرومانية، ونشرت بينهم ثقافة الهزيمة والخنوع، وقمعت انتفاضاتهم -على قلتها- بكثير من القسوة. ونشرت الجيش الروماني داخل الولاية بما يخدم مصالح وأمن الرومان. وبذلت جهودا عسكرية كبيرة لضمان أمن وسلامة حدود مصر الجنوبية على جبهة أثيوبيا، وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يكون البحث على مبحثين يسبقهما تمهيد بيّنت فيه (أطماع الرومان في مصر)، درست في المبحث الأول: سياسة روما الأمنية في مصر، وخصصت المبحث الثاني: لأساليب السيطرة الرومانية على مصر، ثم ختمت البحث بأهم النتائج التي توصّلت إليها.

التمهيد: الأطماع الرومانية في مصر

لقد تجلت أطماع الرومان بواردات مصر وموقعها الممتاز قبل احتلالها، إذ لم تلبث روما أن كشفت القناع عن نواياها الاستعمارية في مصر، فتعمدت إلى اختلاق المشكلات مع ملوكها، فما أن ارتقى العرش بطليموس الثاني عشر (الزمار) سنة ٨٠ ق.م حتى رفضت الاعتراف به ملكًا شرعيًا على مصر، بحجة أن بطليموس الحادي عشر، الذي لم يحكم إلا أياما معدودة في سنة ٨٠ ق.م، «قد أوصى بممتلكاته للرومان بعد موته»؛ (وهي وصية لم تثبت صحتها بصورة قطعية)، فقضى الزمار حياته مدافعًا عن حقه، مريقًا ماء وجهه في سبيل الحصول على الشرعية من الرومان، وما أن تم له ذلك حتى ثار عليه سكان الإسكندرية في سنة ٥٨ ق.م عندما وقف موقفا سلبيا من تحويل قبرص التابعة لمصر إلى ولاية رومانية، فارتمى في أحضان الرومان وبقي في حمايتهم حتى سنة ٥٥ ق.م، يطلب منهم العون، مبددًا ثروة بلاده في سبيل إرضائهم والاستقواء بهم، حتى أنه دفع لهم ما يقارب الـ ٦ آلاف تالنت (أي ما يعادل نصف دخل مصر السنوي) وهكذا ظهرت على الطاولة الرومانية مسألة جديدة عرفت بـ «المسألة المصرية»[١].

لقد بدأ التحرش الروماني بمصر منذ سنة ٥٨ ق.م عندما أعلن الرومان عن احتلال قبرص وضمها للإمبراطورية الرومانية. وسرعان ما تم استغلال «المسألة المصرية» في حمى المنافسات الدائرة بين مراكز القوى والنفوذ في روما، خلال فترة نهاية العصر الجمهوري، ويبدو أن مارك كراسوس M. Crassus (١١٥- ٥٣ ق.م) كان أول من صرح بطمعه في المملكة المصرية، فبعد أن فشل الرجل في تحويل إسبانيا كقاعدة عسكرية له، يمم وجهه صوب مصر، لاحتلالها واتخاذها قاعدة عسكرية له ينطلق منها لمواجهة منافسه بومبي Pompey (١٠٦- ٤٦ ق.م)، حيث كانت أوضاعها مواتية للاحتلال الروماني، فدفع أحد نقباء العوام لتقديم مشروع قرار ينص على تحويل مصر البطلمية إلى مقاطعة رومانية، وتكليف حليفه يوليوس قيصر Julius Caesar (١٠٠- ٤٤ ق.م) بتنظيمها، بحجة وصية ملكها بطليموس الحادي عشر، وقد رحبت طبقة الفرسان في روما بمشروع القرار هذا؛ لأنه سيتيح لهم وضع يدهم على ثروات هذه البلاد الكبيرة، لكن مجلس الشيوخ الروماني Senatus Romanus عارض هذا المشروع بشدة، كما تصدى الخطيب الروماني

الشهير شيشرون Cicero (١٠٦- ٦٣ ق.م) له أيضا، لأنه كان لا يريد للأشخاص الذين يعادون مبادئ الجمهورية الرومانية أن يزيدوا من نفوهم وثرواتهم، فحال دون وصل كراسوس إلى كنوز مصر وسلطتها، فحول الأخير بوصلته باتجاه سوريا التي مات مقتولا فيها سنة ٥٣ ق.م في حملة عسكرية شنها ضد الفرس(٢).

بعد أن قتل كراسوس خلت ساحة التنافس لبومبي وقيصر، وكانت مصر في هذه السنوات مستعدة دائما لقدوم الرومان، مهيأة لتحولها من مملكة مستقلة اسميًا إلى ولاية رومانية، وسرعان ما قُتل بومبي في سنة ٤٨ ق.م على يد بطليموس، وهو في طريقه إلى مصر باحثا عن ملجأ؛ بعد أن خسر معركة فرسالوس Pharsalus في مواجهة قيصر، حيث قُطع رأسه وأرسل هدية إلى قيصر. وعندما دخل قيصر إلى مصر وجد نفسا متورطا في حل مشكلة وراثة العرش بين كليوبترا وشقيقها. لقد ارتبطت مصر بروما منذ أن ارتبط يوليوس قيصر بكليوبترا (٦٩- ٣٠ ق.م)، أي قبل معركة أكتيوم Actium البحرية بزمن، ولم يكن عهد كليوبترا كله سلبيا بالمجمل، بل في بعض جوانبه كان ايجابيا؛ إذ شهدت مصر نوعا من التعافي بعد مغادرة قيصر لها في سنة ٤٧ ق.م. لكن ذلك الارتباط عاد وتعزز بعد أن انتصر أنصار قيصر على قتلته في معركة فيليبي Philippi في اليونان سنة ٤٢ ق.م، وفي الاثني عشر سنة الأخيرة قبل إعلان الضم مصر وتحويلها إلى ولاية رومانية، علقت مصر بشباك روما، تماما كما علق فؤاد مارك أنطونيوس Marcus Antonius (٨٣- ٣٠ ق.م) بحبائل شباك غرام كليوبترا. وأخيرا خضعت مصر لروما نهائيا، عندما قرر أوكتافيوس أن يقضي على كليوبترا وإلى الأبد.

ولما كان أوكتافيوس حرصا أشد الحرص على عدم إثقال كاهل الشعب الروماني بحرب أهلية جديدة، فإنه أعلن صراحة أن الحرب في الشرق ما هي إلا لدرء خطر أجنبي، إذ أنها كانت موجهة ضد مصر، التي كانت فاحشة الثراء يحكمها ملوك البطالمة؛ ملوكٌ أثقلتهم السمنة، فاسدون ومنحلون خلقيًا؛ حتى أن المرء فيهم لا يتحرج من الزواج من أخته(٣). كما كانت الحرب ضد ملكتهم كليوبترا وعشيقها أنطونيوس؛ ذلك الجنرال الذي تخلى عن مبادئ الجندية الرومانية؛ بعد أن أمسى أسير هوى امرأة شرقية، وبالتالي كانت كليوبترا تشكل تهديدا خطرًا على روما لا بد من مواجهته. لقد ضخمت تلك الدعاية حتى تعدت كل مقاييس المنطق. حتى هوراس Horatius (٦٥ – ٨ ق.م) ذلك الشاعر العاطفي البعيد عن الرصانة لحق بمركب الجنون، وألف أنشودة عن الملكة المجنونة؛ التي كانت أشبه بوحش مميت، تقود بفجور غير عادي عصابة من الأغبياء لتدمير تل الكابيتول Capitol والدولة الرومانية(٤). إن الاطلاع على حجم الزخم الإعلامي والدعائي الذي سبق معركة أكتيوم سنة ٣١ ق.م، يشرح لنا كثيرا من خفايا سياسة أوكتافيوس اتجاه مصر بعد احتلالها.

المبحث الأول: سياسة روما الأمنية في مصر

في اليوم الأول من شهر آب من سنة ٣٠ ق.م دخل أوكتافيوس مدينة الإسكندرية، وعلى خلاف ما كان سائدا في العالم القديم، فإنه لم يأذن لجنوده بنهب المدينة أو تخريبها، إكراما واحتراما لذكرى بانيها الإسكندر الكبير، حتى أنه وضع تاجًا من ذهب على قبره ونثر فوقه الزهور، ثم وقف خطيبًا باللغة اليونانية في جموع سكان المدينة، يعلمهم أن مدينتهم صارت إحدى مدن ولايات الإمبراطورية الرومانية(٥). لقد كان أوكتافيوس جادا في إحكام قبضته على مصر فبدأ بالجيش، حيث نشر فيها ثلاث فيالق عسكرية رومانية؛ كان إحداها -الفيلق الثاني والعشرين- الذي رابط

قرب العاصمة الإسكندرية، إلى الشرق منها، في خارج الأسوار، في المنطقة التي صارت فيما بعد تعرف باسم ضاحية النصر Nicopolis. ورابط فيلق في وسط مصر في بابليون عبر النيل؛ بالقرب من العاصمة المصرية القديمة منف. بينما رابط فيلق قرب طيبة عاصمة مصر العليا (الصعيد)، والتي كانت مركز ثورة دائم على البطالمة. كما تم نشر تسع وحدات مساعدة في مصر: حيث وضعت ثلاثة منها قرب العاصمة، وثلاثة على الحدود مع الحبشة كقوات حرس حدود عند أسوان، وثلاثة تم توزيعها في الأماكن المهمة داخل مصر؛ ولاسيما في القلاع المنتشرة على طول خوط التجارة الدولية، والطرق الرئيسية، ولحماية المحاجر والمناجم ومستودعات الغلال. كما تم نشر ثلاث وحدات من الفرسان Alae لحماية حدود مصر الشرقية والغربية. وقد قدر المؤرخون تعداد القوات الرومانية المرابطة في مصر، في عهد أغسطس بنحو عشرين ألف جندي[٦]، وهو رقم كبير من الجنود في معايير ذلك العصر، ولم تكن مصر بحاجة كل هذه الأعداد من الجنود لفرض السيطرة الرومانية فيها، فمصر كانت أكثر استقرارا من اليهودية وبلاد الغال على سبيل المثال، لكن تلك الأعداد تعكس حالة القلق السياسي الذي سيطر على الإمبراطور اتجاه هذه الولاية المهمة والحساسة[٧].

بعد أن فرغ أوكتافيوس من إحكام السيطرة الرومانية على مصر عاد إلى روما، وكان متعطشا للسيطرة على مقاليد الحكم فيها، فأدخل تعديلات جذرية في النظام السياسي الروماني، ودفع مجلس الشيوخ لأن يخلع عليه في سنة ٢٧ ق.م لقب «**أغسطس**»، ليصير الحاكم الأعلى في العالم الروماني، وحصل من مجلس الشيوخ على سلطة الإمبريوم Imperium العسكري التي تخوله قيادة الجيوش، وحصل أيضا على السلطة البروقنصلية Imperium Proconsulare في عدد من الولايات الاستراتيجية؛ والتي كان من بينها سوريا ومصر في القسم الشرقي من الإمبراطورية، وبذلك يكون قد تسلم الإشراف على أغنى الولايات الرومانية وأكثرها أهمية، بما في ذلك قيادة الجيوش المرابطة فيها[٨]. إن حقيقة وضع أغسطس (٣٠ ق.م- ١٤م) يده على القوة العسكرية في الإمبراطورية؛ بتأسيسه جيش دائم تحت السلاح، جعلت الجنود الرومان يقسمون له يمين الولاء لا لروما، ولما صار الإمبراطور يدفع رواتب الجنود الشهرية؛ ضمن ولائهم له، لأنه كان يدفع لهم ثمن هذا الولاء، لا بل إنه ضمن ولائهم حتى بعد تسريحهم بتأسيسه الخزانة العسكرية، التي اعتنت برواتب المتقاعدين منهم[٩]، ولما كان الجنود الرومان الذين اشتركوا في الحرب الأهلية الرومانية يمثلون خطرا يتهدد الدولة، فإنه سعى لإرضائهم، ليس بتقديم الأموال لهم فقط، ولكن بإعطائهم قطعا من الأرض أيضا في مختلف الولايات الرومانية التي تم ضمها حديثا للإمبراطورية الرومانية[١٠].

ورغم أن أغسطس عندما أعلن عن ضم مصر للدولة الرومانية؛ أعلن صراحة أنه ضمها لأملاك الشعب الروماني، كما ذكر في مناسبتين؛ الأولى في أثر أنقرة الذي جاء فيه «ضممت مصر إلى سلطان الشعب الروماني»؛ «Aegyptum imperio populi Romani adiecti». والثانية في أحد النقوش التي أهداها لإله الشمس حين قال: «أهدى هذا النصب لإله الشمس بمناسبة إخضاع مصر لسلطان الشعب الروماني» « Aegypto in potestate populi Romani redacta soli donum dedit». إلا أن الواقع لم يكن يشير إلى ذلك، وكل الدلائل كانت تشير إلى رغبة أغسطس وضع مصر تحت سلطانه هو، لا سلطان الشعب الروماني[١١].

لقد انتهج أغسطس مع مصر سياسة أكثر خصوصية، تختلف عن جميع الولايات الرومانية الأخرى، إذ كانت من **أغنى الولايات**؛ حتى أنها كانت تُزود روما بثلث حاجتها من القمح كل سنة، لاسيما أن روما تعهدت بإطعام سكانيها من الغوغاء مجانا على نفقة الدولة، لذلك كان أغسطس يستورد من مصر في كل سنة عشرون مليون مُد (modii) من القمح، أي ثلث ما تستهلكه روما من القمح في السنة الواحدة، لذلك كانت مصر مهمة اقتصاديا لروما، واستمرت كذلك حتى العصر البيزنطي(١٢). كما كانت من أكثر **الولايات قوة**، وتتمتع بماضي عريق، ومجد تليد، وكانت مصدر تهديد مباشر لأغسطس نفسه في الأمس القريب، لذلك اتبع معها سياسة الاستحواذ، إذ كان يخشى أن يضع شخص ما يده عليها، ويستخدم مقدراتها في إشعال حرب جديدة ضده، لذلك وضعها تحت إداراته المباشرة(١٣).

لقد جرت العادة أن **يعين الولاة** من بين أعضاء مجلس الشيوخ، ولما كان أغسطس لا يثق بهم، لاسيما بعد أن غدروا بقيصر Julius Caesar (١٠٠- ٤٤ ق.م) واغتالوه، رغم أنه كريما متسامحا معهم، لذا فإن أغسطس عين على مصر واليا من طبقة الفرسان Equites، الطبقة التي كان أغسطس نفسه ينتمي إليها، وكان أفرادها يدينون بالولاء والطاعة له. ونظرا لوجود فيالق رومانية في مصر، والتي ينبغي أن تكون خاضعة لسلطة والي من طبقة أعضاء مجلس الشيوخ، فقد قرر أغسطس القيام بإجراء استثنائي، وهو منح سلطة الإمبريوم Imperium لوالي مصر الذي هو من طبقة الفرسان، رغم أن هذه السلطة لم تكن تمنح إلا لرجال مجلس الشيوخ(١٤). وبالتالي لم يمتلك مجلس الشيوخ أي صلاحيات في مصر، والأهم أنه كان محرمًا على أي شخصية رومانية رفيعة المستوى من الفرسان أو أعضاء مجلس الشيوخ الروماني دخول مصر دون إذن من الإمبراطور نفسه، وقد سرى هذا الحظر حتى على أفراد البيت الإمبراطوري أنفسهم(١٥).

لا شك أن السبب في ذلك واضح؛ فأعضاء هذا المجلس هم الذين استغلوا سلطاتهم العسكرين وهددوا أمن وسلامة الدولة الرومانية وكيانها بالحرب الأهلية، من أمثال ماريوس Marius، وسلا Sulla، وبومبي، ويوليوس قيصر، وأنطونيوس، وخاصة هذا الأخير الذي شن حربا على أغسطس، متخذًا من مصر ذاتها قاعدة له، قبيل أن تصبح مصر ولاية رومانية(١٦). وحتى يبرر الإمبراطور قراره بمنع أعضاء مجلس الشيوخ الروماني من الدخول إلى مصر؛ أدعى أن أعضاء مجلس الشيوخ هم أعلى مكانة من والي مصر، وبالتالي فإن زيارتهم لها ستسبب نوعا من الأحراج للوالي، الذي كان ينتمي إلى طبقة الفرسان، وستكون سببا في إضعافا مكانته أمام مرؤوسيه، وبالتالي أراد أغسطس أن يمنع وقوع ذلك الأحراج(١٧). ويبدو أن هذا التبرير لم يُقنع أحدًا في روما، لأن الجميع كان يعلم أن الإمبراطور ماضي في ضرب الأرستقراطية الرومانية القديمة لصالح محدثي النعمة، حتى أنه سلب مجلس الشيوخ -حصن الأرستقراطية الحصين- كثيرا من صلاحياته، كان من بينها حق إصدار النقود، حيث تولى بنفسه الإشراف على إصدار النقود الذهبية والفضية، وترك لمجلس الشيوخ الإشراف على سك النقود البرونزية فقط، ومن المعلوم أن إصدار النقود من أهم علامات السيادة(١٨).

أما الناحية الإدارية فقد تمتع **والي مصر** Praefectus Aegypti بقيادة الجيش الروماني في مصر المؤلف من ثلاث فيالق عسكرية رومانية بالإضافة إلى الوحدات المساعدة، وكان الحاكم الفعلي للبلاد، وهو الرئيس الإداري الذي يعين من يشاء في فريق عمله، والقاضي الأعلى؛ إذ كان عليه أن يمارس واجبات قضائية، والمشرف على مالية الولاية وجمع ضرائبها. وهو يستمد من

الإمبراطور الذي عينه شخصيا سلطاته، وبذلك أصبح والي مصر فيها مثل الإمبراطور في الدولة[١٩]. وإلى جانب الوالي أدخل أغسطس على نظام الإدارة في مصر الرومانية منصب **الرئيس القضائي** Juridicus وكان الهدف الأساسي من استحداث هذا المنصب هو تزويد الإدارة الرومانية في مصر بخبير قانوني، بحكم أن الوالي من طبقة الفرسان، التي لا يملك أفرادها خبرة بالقانون الروماني. ولهذا أنشأ أغسطس وظيفة الرئيس القضائي ليكون بمثابة مستشار قانوني، ورقيب في الوقت نفسه على تصرفات الوالي[٢٠]. ولعل سْترَابُون الذي زار مصر في اعقاب احتلالها بفترة وجيزة كان خير من وصف لنا رأس الجهاز الإداري الجديد في مصر إ يقول: «**الآن مصر ولاية، ومع أنها تؤدي إتاوات مهمة، إلا أن أناسا عقلاء حكماء يديرون شؤونها، وهم الولاة الذين يرسلون إلى هنا من وقت إلى آخر، فالوالي هنا يحل محل الملك، فيخضع له القاضي الأكبر؛ الذي له السلطة العليا في أكثر الدعاوي القضائية**[٢١]». يمكننا القول أن ولاة مصر من طبقة الفرسان ساروا في حكم مصر على خيط رفيع ما بين كونهم ممثلين للإمبراطور وما بين كونهم ملوك كاملي الصلاحيات[٢٢].

كما تم تقسيم مصر إلى ثلاث أقسام إدارية كبرى هي الدلتا، ومصر الوسطى، وإقليم طيبة، وجعل على رأس كل منها **نائبا للوالي** ليحكمها، والذي يعرف باسم مدير الإقليم Strategoi، وكان يعين من قبل الي مصر، واشترط فيه أن يكون رومانيا، أو حاصلا على الجنسية الرومانية تماما مثل الوالي ورئيس القضاة وأمين الخزنة، والذين كانوا جميعا يقيمون في الإسكندرية ولا يغادرونها إلى في جولات تفتيشية، وكان هدف الإمبراطور من هذا التقسيم الإداري القضاء على حركات الانفصال في وادي النيل[٢٣]. وتحولت الإدارة المحلية لتصبح نظاما ليتورجيا (خدميا) رومانيا، حيث كان ملاك الأراضي مطالبين بالخدمة في الحكومة المحلية.

لقد كان كورنيليوس جاللوس Cornelius Gallus أول والي روماني على الولاية التي انظمت حديثا للدولة الرومانية، وكان أول من ينال لقب والي مصر Praefectus Aegypti، كان الرجل شاعرا وجنرال في الجيش الروماني؛ وكان ممن أبلوا بلاء حسنا في احتلال مصر، إذا كان قائدا للقوات الرومانية التي هاجمت حدودها الغربية، وتمكن من احتلال برايتونيوم Paraetonium (مرسى مطروح). ورغم أن الوالي الجديد كان مقربا من الإمبراطور، وحصل على سلطات غير محدودة منه؛ بصفته نائبا له في مصر، إلا أن مهمته لم تكن بالسهلة. لقد كانت أولى المهام التي ألقيت على عاتقه قمع الاضطرابات والثورات المحلية، وبناء عليه هاجم مدينة هيروبوليس Heroonpolis (قرب السويس) الثائرة؛ بقوة عسكرية صغيرة واستولى عليها، وهي مدينة لها أهميتها العسكرية على الطريق إلى فلسطين[٢٤]. ولم يمض وقت طويل على الحكم الروماني في مصر، حتى هبت ثورة عارمة في مدينة طيبة Thebaid، بسبب التنظيمات المالية الجديدة التي فرضها الرومان في مصر، إذ انفجر غضب الأهالي عند ظهور جباة الضرائب الرومان في مطلع سنة ٢٩ ق.م. وكانت المشاعر الوطنية لدى المصريين، والتي تسببت في العديد من الثورات في عصر البطالمة، ما تزال كامنة تحت الرماد، وقد بلغت ثورة طيبة حدا من الخطر جعل الوالي الروماني يتوجه بنفسه على رأس قواته لإخمادها، وقد نجح في مهمته خلال خمسة وعشرة يوما، خاض خلالها معركتين ضاريتين، وتمكن من احتلال البلدات الخمس: «Boresis، Koptos، Keramike، Diospolis، Ophieum» التي يتكون منها الإقليم الطيبي[٢٥]، ويؤكد سْترَابُون نتيجة القتال؛ إذ يقول: «**نجح في وقت قصير أن يخمد الاضطرابات التي قامت في منطقة**

طيبة احتجاجا على الإتاوات[٢٦]». زحف بعدها كورنيليوس بحملة ضد الاثيوبيين في أبريل سنة ٢٩ ق.م، بحجة أنهم مسؤولون عن تحريض أهالي طيبة على الثورة، حيث أراد أن يؤمن حدود مصر، فسار حتى أسوان Syene ثم إلى جزيرة فيلة Philae، وعقد اتفاقية مع تيريتيكاس Tireteqasملك الحبشة (أكسيوم) في جزيرة فيلة؛ جعلت المنطقة الواقعة ما بين الشلال الأول والثاني منطقة عازلة ما بين الرومان في مصر والأثيوبيين في الحبشة، واشترط أن تكون هذه المنطقة تحت إشراف وحماية الرومان[٢٧].

لقد ترك والي مصر لنا أخبار انتصاراته في النوبة وطيبة منقوشة على حجر من الغرانيت باللغات الثلاث (اللاتينية واليونانية والمصرية)، وقد عثر على هذا الحجر في جزيرة الفيلة. لكن هذه المسيرة لم تستمر، فعندما نجح كورنيليوس في تحقيق المهام المسندة إليه، انتشى بما حققه من انتصار، فأقام لنفسه التماثيل في كل مكان، ودون أعماله على واجهات المباني العامة وعلى الأهرامات، ولما كان أغسطس شديد الحساسية بكل ما يتعلق بمصر، فإنه أرتاب من نوايا واليه على مصر، فأمر بعزله وتقديمه للمحاكمة بتهمة الخيانة العظمى، بعد أن جرده من منصبه وصادر أملاكه، ولما علم الرجل بقرار الإمبراطور أقدم على الانتحار سنة ٢٧ ق.م، وقد رثاه صديقه الشاعر الروماني الشهير فرجيل بقصيدة مؤثرة[٢٨].

لقد كلف الإمبراطور أغسطس والي مصر الروماني أيْلِيُوس جَاللُوس Aelius Gallus (٢٦- ٢٤ ق.م) بقيادة حملة عسكرية على **اليمن**، بقوة تقدر بعشرة آلاف مقاتل سحبت من القوات الرومانية المرابطة في مصر[٢٩]، «**وأبحر مصطحبًا معه نحو عشرة آلاف من المشاة الذين جمعهم في مصر من الرومان وحلفائهم**[٣٠]». إن تفاصيل هذه الحملة تهمنا بالقدر الذي ترتبط فيه أحداثها بمصر، فأولا قائد الحملة هو والي مصر الرومانية، ثانيا كان جنود هذه الحملة من جنود الحاميات الرومانية المرابطة في مصر، ثالثا كانت مصر نقطة انطلاق الحملة، أما الأهم من كل ذلك هو سعي أغسطس لتأمين أمن مصر من خلال السيطرة على البحر الأحمر وجعله بحيرة رومانية، وفرض سيطرة روما مباشرة على طريق إلى الهند، بنقل الموانئ التجارية من شرق البحر الأحمر إلى غربه؛ لتكون في حوزة ولاية مصر الرومانية، أي جعل مصر همزة الوصل في التجارة الدولية ما بين المحيط الهندي والبحر المتوسط عبر البحر الأحمر ونهر النيل، وهذا ينسجم مع سياسة الرومان الاستعمارية، وأساليبهم الانتهازية في نهب موارد الولايات وثرواتها.

وتجدر الإشارة إلى أن أغسطس اهتم بميناء قفط Quft، لأنها كانت مستودع تجميع وتوزيع البضائع القادمة من تجارة الشرق الأقصى والهند، فأعاد بنائها وطور مينائها، كذلك أهتم أغسطس بميناء بيرينيكي Berenicis الذي كان يبعد عن ميناء قفط مسير أحدى عشر يوما، ويعود اهتمام أغسطس فيه لوجود عدد من مناجم الذهب ومحاجر الرخام بالقرب منه، وأمر أن توضع تحت إمرة ضابط يحمل لقب قائد الحاميات وجبل بيرنكي Praefectus Praesidiorum et montis Berenicis وكان هذا القائد يتولى إلى جانب إدارة المنطقة والإشراف على المناجم والمحاجر بمساعدة مشرف Procurator، يتولى قيادة الحاميات التي وضعت لحراسة هذه المناجم ولتأمين طريق القوافل بين البحر الأحمر والنيل والعناية ببناء صهاريج المياه وحفر الآبار على جانبيه[٣١].

إن هذه الأهمية في السيطرة على البحر الأحمر يتحدث عنها سْتَرَابُون الذي كان معاصرا لأغسطس يقول: «**إن أوليتيس الزمار والد كليوبترا كان يتلقى إتاوات سنوية مقدارها ١٢٥٠٠**

تالنت.. فما الذي يمكن أن نقوله عن واردات اليوم التي تجبى بحرص شديد ودقة متناهية، وقد تضاعفت التجارة مع الهند؟ في الماضي بالكاد كانت ٢٠ سفينة تجتاز مياه الخليج العربي [البحر الأحمر] **لتخرج إلى ما وراء المضيق؛ أما الآن فأساطيل كبيرة تبحر حتى الهند، وأطراف أثيوبيا حيث يحملون إلى مصر مختلف أنواع البضائع الثمينة لترسل من هنا إلى شتى البلدان الأخرى، ولذا تجبى رسوم مضاعفة: رسوم الاستيراد ورسوم التصدير؛ وإن رسوم السلع الثمينة كبيرة جدا. وإن البلاد** [مصر] **تستغل احتكارها لكثير من السلع؛ فالإسكندرية وحدها تعد إلى درجة كبيرة مخزن هذه السلع، وهي إضافة إلى ذلك تزود الأصقاع الغربية بها**[٣٢]» إن من يقرأ نص سْترَابُون هذا سيدرك أهمية البحر الأحمر بالنسبة للرومان بعد أن احتلوا مصر.

لم تكلل الحملة بالنجاح وعاد الرومان إلى مصر بخفي حُنين، لكن ما فشلت روما بأخذه بالقوة من عرب اليمن، أخذته بالدبلوماسية والسياسة، فلم يمض وقت طويل حتى غير العرب سياستهم اتجاه روما، بعد أن أيقنوا أن روما صارت شريكا لهم في البحر الأحمر، وأنها من يضع يدها على نهاية خطوط التجارة فيه، وعلى أهم الموانئ فيه، وأنها المستورد الأفضل لموادهم التجارية، دون سعيها لاحتكار هذه التجارة لنفسها وحدها. وسرعان ما قامت صداقة حارة بين الرومان وملوك العرب، لاسيما ملوك سبأ وحمير، وتم عقد اتفاقية مع الدولة الحميرية التي تسيطر على مناطق واسعة من السواحل العربية، وقبل العرب راضين التخلي عن سيطرتهم المطلقة على المضائق البحرية في البحر الأحمر للرومان، وحصل الرومان على حق المرور من مضيق باب المندب، واستخدام الموانئ العربية، ويبدو أن العرب سعوا إلى التحالف مع الرومان في محاولة منهم لإيجاد نوع من توازن القوى؛ موجه ضد الأحباش (مملكة أكسوم)، الذين بدأوا بالسعي عن موطئ قدم لهم في شبه الجزيرة العربية، ومهما تكن دوافع العرب، فإن أغسطس قضى بذلك على فاعلية طريق التوابل القديم وقلل من أهميته التجارية. وهكذا نجحت خطة الرومان في الالتفاف على الخطوط التجارة الفارسية باتجاه الشرق؛ والتوجه إلى شواطئ شبه الجزيرة العربية الجنوبية مباشرة، والحصول على قواعد دائمة له في جزيرة سقومطرى وميناء عدن[٣٣].

لعل أهم سياسات روما الاستعمارية في تكريس وجودها في مصر؛ هو حفظ أمن حدودها الجنوبية، لاسيما أن الأثيوبيين كانوا يتحينون الفرصة للانقضاض على القوات الرومانية في مصر، ويبدو أنهم وجدوا تلك الفرصة في أثناء غياب القوات الرومانية عنها في حملتهم على بلاد العرب السعيدة[٣٤]. ويبدو أن الذي دفعهم لذلك هو إحساسهم أنهم الضحية القادمة في مشروع الرومان التوسعي فبادروا بالهجوم، مستغلين غياب القوات الرومانية عنها كما اسلفنا[٣٥]. ولما كان عدد الفرق الرومانية قليلا بالنسبة إلى مساحة الولايات التابعة للدولة، ولما لم يكن هناك جيش احتياط روماني، كانت النتيجة عدم مقدرة روما على الصمود في جبهة معينة، إلا بإضعاف حامياتها المرابطة في جبهة ثانية[٣٦]، إن هذا ما حدث في مصر؛ فبعد أن تم سحب أعدادا كبيرة قدرة بـ ١٠ آلاف جندي من حاميتها في مصر، كان من بينهم فرقة رومانية مجهولة الاسم، وبعض الوحدات الرومانية المساعدة المعسكرة في مصر، وزج بهم في حملة اليمن[٣٧]، وجدت القبائل الأثيوبية الفرصة سانحة لمهاجمة حدود مصر الجنوبية، والفتك بالحاميات الرومانية المنتشرة على طول تلك الحدود[٣٨]، بقيادة ملكتهم كانداكي Kandake؛ حيث جهزوا ثلاثين ألف مقاتل في سنة ٢٥ ق.م، وهاجموا ثلاث كتائب رومانية كانت مرابطة في تلك المنطقة، وتمكنوا من هزيمتها، واستولوا على أسوان وإليفانتين والفيلة، واستولوا على بعض تماثيل أغسطس، وشردوا وأسروا عددا من

المصريين، وعاثوا في جنوب مصر فسادا[٣٩]. ويحدد سترابون موضعي أسوان وإليفانتين فيقول «**الأولى تقع على الحدود بين أثيوبيا ومصر، والثانية جزيرة في النيل تقع قبالة أسوان على بعد نصف مرحلة**»[٤٠]. أما عن الفيلة فيقول «**وإلى الأعلى قليلا من الشلال تقع جزيرة الفيلة؛ وهي مستوطنة مشتركة بين الأثيوبيين والمصريين، ومبنية كما إليفانتين وتساويها من حيث الحجم**»[٤١].

لقد كانت مهمة جايوس بترونيوس Gaius Petronius (٢٤- ٢١ ق.م) والي مصر الجديد، مقاومة غزوات الأثيوبيين لمصر، ويبدو أنه كان نشيطا ومُجدًا، وتمكنت قواته من طرد الأثيوبيين من الأماكن التي استولوا عليها في مصر، فانكفأوا نحو بلادهم، هذا ما جعله يسترد ما استولوا عليه[٤٢]، ولعل سْتْرَابُون الذي كان معاصرا للأحداث كان خير من وصّف الحال إذ يقول: «**بعد أن امتلأ الإثيوبيون شجاعة، لأن جزء من القوات الرومانية في مصر بقيادة أيْلِيُوس جَاللُوس كان قد زج بها في حرب مع العرب، هاجموا منطقة طيبة وفوج أسوان المؤلف من ثلاث فصائل، واستولوا على أسوان والفيلة، وحولوا السكان إلى عبيد، وحطموا تمثال قيصر** [أغسطس]**، ولكن بترونيوس زحف إلى هناك على رأس جيش قوامه أقل من عشرة آلاف من المشاة، وثمانمائة فارس، ليواجه ثلاثين ألف من قوات الأعداء، أرغم العدو على أن يندحر إلى المدينة الأثيوبية بسيلكيس** Pselkis **أولا، ثم أرسل إليهم سفارة يطلب رد ما كانوا قد استولوا عليه، ويسأل عن السبب الذي دفعهم لبدء الحرب، وعندما أن الأثيوبيون أن النوبيين أساؤوا إليهم، أجابهم بترونيوس أن هؤلاء ليسوا حكام البلاد، وإنما قيصر** [أغسطس] **هو حاكمها، وعندما طلبوا ثلاثة أيام مهلة للتفكير بالأمر، لم يفعلوا شيئا مما كان ينبغي أن يفعلوه فعلا، فهاجمهم بترونيوس وأرغمهم على الدخول في المعركة، وألحق بهم هزيمة سريعة، لأنهم لم يعرفوا كيف ينظمون صفوفهم جيدا، ولأن أسلحتهم كانت رديئة، فقد كانوا يحملون تروسا كبيرة متطاولة مصنوعة من جلود الثيران الخام غير المدبوغة، وكانت الفأس الحربية هي سلاحهم القتالي، وكان بعضهم يحمل رماحا، وآخرون يحملون سيوفا. لقد دفع الرومان بفريق من الأعداء القهقرة نحو المدينة، بينما فريق آخر منهم نحو الصحراء ورمى ثالث منهم بنفسه القناة، ووجد ملجئ على الجزيرة المجاورة، وكان من بين الفارين قادة قوات الملكة كانداكي، التي كانت في أيامنا ملكة على الأثيوبيين، وكانت هذه امرأة ذات طباع رجولية، وعوراء بعين واحدة، وقد بترونيوس كل هؤلاء أسرى، إذ أبحر إلى هناك على متون القوارب والسفن، ثم أسرع وأرسلهم إلى الإسكندرية، ثم شن هجوما على بسيلكيس، واستولى عليها، وعندما أحصى قتلى الأعداء وأسراهم، تبين له أنه لم ينج منهم سوى عدد قليل، ومن بسيلكيس وصل بترونيوس إلى المدينة المحصنة بريمس** Premis**، بعد أن اجتاز كثبانا رملية... فهاجم بترونيوس القلعة واستولى عليها عنوة، ثم تحرك بعد ذلك ضد نباتا** Nabata [جبل برقل]**، وكانت عاصمة كانداكي ومقرها الملكي؛ وكان ابنها هناك، أما هي فكانت في ضاحية قريبة، ومع أن الملكة أرسلت وفدا تطلب من خلاله الصلح، وتتعهد برد الأسرى والتماثيل التي كانت قد استولت عليها في أسوان، إلا أن بترونيوس شن هجوما على نباتا واستولى عليها، وتمكن ابنها في الفرار من المدينة، التي دمرها بترونيوس وأخذ سكانها عبيدا، وعاد أدراجه بالغنيمة بعد أن رأى أن المناطق التي تقع بعدها هي مناطق وعرة عصية على القوات الرومانية، ومع ذلك حصن بريمس أفضل مما كان عليه تحصينها من قبل، وترك هناك حامية رومانية من ٤٠٠ رجل مع مؤنها تكفيهم مدة عامين، وعاد إلى**

الإسكندرية، وباع أعدادا من الأسرى كغنيمة حرب، وأرسل ألفا منهم إلى قيصر [أغسطس] **الذي كان قد عاد لتوه من كانتابريا، وأهلكت الأمراض ما تبقى منهم**[٤٣]».

لقد وجد بترونيوس أن الحكمة تقضي ألا يتوغل في هذه البلاد أكثر من ذلك، حيث كانت التضاريس موحشة، فعاد إلى الإسكندرية. دخل بعدها بمصادمات مع أهل مدينة الاسكندرية الذي يبدو أنهم احتجوا ضده، ويذكر سترابون هذه الحادثة بالقول: «**هاجم بيروتنوس حشدا من عشرات آلاف من الإسكندرانيين، وأخذوا يرجمونه بالحجارة، فصد هجموهم بمن كان معه من حرسه الشخصي، فقتل عددا منهم وأخضع الباقي**[٤٤]». كانت ملكة الأثيوبيين ترغب في كسر نير الرومان؛ فعادت للهجوم عليهم، وتمكنت من محاصر حاميته بقوة كبيرة في بريمس؛ فخفّ بترونيوس لنجدتهم بسرعة قصوى، ونجح في فك الحصار عنهم[٤٥]، وقد تمكن من طرد الغزاة من المناطق التي توغلوا فيها، وطاردهم في سنة ٢٢ ق.م إلى عقر دارهم، واحتل عاصمتهم نباتا، وأجبرهم على التنازل عن موانئ البحر الأحمر؛ التي كان لها دور كبير في تطوير تجارة مصر مع الهند، كما وسع حدود مصر في جهة الجنوب حتى وصلت إلى الشلال الأول، وقد جددت الحملة الثانية السيادة الرومانية على الحدود المصرية الأثيوبية من جديد[٤٦]. فعرض الأثيوبيون الصلح على الرومان، وعندما وصل وفد الملكة كانداكي إلى بترونيوس؛ طلبوا منه الصفح، فأرسلهم إلى الإمبراطور لكي يتفاوضوا معه، وكان أغسطس وقتها يقضي شتاء سنة ٢١-٢٠ ق.م في جزيرة ساموس Samos في بحر إيجة، وعندما مثلوا أمام الإمبراطور؛ وافق على إبرام الصلح معهم، وأجابهم إلى جميع مطالبهم، وزادها أن أعفاهم من دفع الجزية، ووافق على جعل الشلال الأول حدًا فاصلًا معهم[٤٧].

ويصف سْتْرَابُون تطور الأحداث فيقول: «**عادت الملكة كانداكي للهجوم على القلعة** [بريمس] **بأعداد لا تحصى، لكن بترونيوس سبقها بالوصول إلى القلعة، وبعد أن اتخذ عدد من الاجراءات الضرورية، وأمن القلعة من اقتحام الأعداء لها، جاءه السفراء من جديد، لكنه أمرهم بالتوجه إلى قيصر** [أغسطس]، **وعندما أعلن هؤلاء أنهم لا يعرفون من هو قيصر** [أغسطس]، **ولا كيف يمكن أن يذهبوا إليه، ألحق بهم بترونيوس مرافقة، وجاء السفراء إلى ساموس حيث كان قيصر** [أغسطس] **يستعد للتوجه فيها إلى سوريا، بعد أن جهز تيبيروس وأرسله إلى أرمينيا، وبعد أن نال هؤلاء مطالبهم كلها، أضاف إليها قيصر** [أغسطس] **إعفائهم من الإتاوات التي كان هو نفسه قد فرضها عليهم**[٤٨]».

لقد أقام الرومان في هذه المرة استحكامات قوية على الحدود، ووضعوا قوات كافية، وكان هذا كفيلا بتحقيق السلام، فلم تشهد المنطقة اضطرابات لفترة طويلة، نحو ثلاثة قرون[٤٩]. ويبدو أن أكسيوم (الحبشة) أظهرت حسن الجوار للرومان في مصر؛ يشهد على ذلك قيام علاقات تجارية بينهم، حيث استورد الأثيوبيون من مصر القماش والزجاج والزيت والنبيذ والسلاح والأدوات المعدنية، ومن الواضح أن تفاهما معينا كان قائما بين الإمبراطورية الرومانية والاثيوبيين بدليل أن ميناء عدول قد ورد ذكره في دليل الملاحة في البحر الأحمر كميناء دولي معترف به[٥٠]. وتجدر الإشارة إلى أن الجنرال بترونيوس كان آخر الولاة الرومان في مصر، الذين قاموا بحملات عسكرية[٥١]. وتجدر الإشارة إلى أن حملة الرومان على اليمن، التي اتخذت من مصر مطلقا لها، والقتال مع الأثيوبيين على حدود مصر الجنوبية، وتوغلهم إلى ما بعد الشلال الأول، هي أحداث تُعري شعارات «السلام الروماني» التي رفعها أغسطس[٥٢]. وبالعودة إلى مصر فقد نفذ بترونيوس

بعض الإصلاحات فيها، حيث أشرف على قيام الجيش بتطهير قنوات الري، التي خرجت عن الخدمة بسبب الإهمال منذ أواخر أيام حكم الملوك البطالمة؛ نتيجة انشغالهم بالصراع على العرش، مما نجم عنه تناقص مساحة الأراض الزراعية، حيث كانت تسعى الإدارة الرومانية إلى الاستفادة من ثروات مصر الزراعية(٥٣).

يذهب بعض المؤرخين أن حرب الرومان على حدود مصر الجنوبية ضد الأثيوبيين؛ تندرج في إطار حروب روما التي كانت تشنها لتنظيم وسائل الدفاع عن حدود الإمبراطورية، على نطاق إقليمي أو موضعي ضد خطر قائم أو محتمل الوقوع. فهذا النوع من الحروب كانت تشنه الدولة الرومانية كدرس بليغ لجيرانها المشاغبين من جهة، ومن جهة أخرى تقوية لشبكة دفاعها على الحدود، وذلك بإنشائها سلسلة حصون وقلاع تقي جنودها من هجماتهم، أو لاحتلال مراكز استراتيجية جديدة أكثر ملائمة من القديمة؛ فتوفر عليها بعض الكتائب العسكرية، عن طريق حذف نتوءات بارزة أو اختصار خط الدفاع الأمامي(٥٤)، وهذا ينطبق تماما على ما قامت به روما في جنوب مصر؛ أي أنها لم تكن راغبة في التوسع أكثر باتجاه الجنوب، فليس هناك ما يغريها بالسيطرة على صحراء قاحلة يسكنها حفاة رعاة، إذ سْتَرَابُون الأثيوبيين: «**إنهم يعيشون عيشة بائسة، وأكثرهم يطوف عاريا، ويحيا حياة التنقل**(٥٥)»، ويصفهم في فقرة أخرى، ويقارن بينهم وبين المصريين فيقول: «**إن أكثر الأثيوبيين يعيش حياة البداوة، حياة فقر وعوز بسبب شح التربة والمناخ غير المعتدل، وبعدهم عنّا. بينما استقر لدى المصريين وضع مختلف تماما، فمنذ أقدم الأزمنة يعيش هؤلاء حياة مدنية ثقافية، وقد سكنوا في أماكن شهيرة وإنجازاتهم معروفة. وعلاوة على هذا يحظى المصريون بالاحترام والتبجيل من قبل الآخرين**(٥٦)».

المبحث الثاني: أساليب السيطرة الرومانية على مصر

بعد أن أطمأن الرومان إلى وجودهم في مصر، اتخذوا مجموعة من الخطوات الأمنية الأكثر عمقا في سبيل تكريس وجودهم فيها، ويمكن أن نلخصها بالآتي:

١- ضمان الوالي الروماني في مصر:

إذ كان أولى الخطوات الأمنية التي اتخذها أغسطس في سبيل تكريس السيادة الرومانية على مصر كانت أولا في **ضمان واليها**؛ وأن يكون في صف الإمبراطور ومن أنصاره، ومن المقربين منه جدا، وحتى يزيد من صلاحياته جعله مسؤولا أمامه فقط، ورغم جميع ما تقدم، لم تزد ولايته عليها أكثر من ثلاث سنوات، ولعلها أطول مدة شغلها ولي روماني على مصر، إذ كثيرا ما كان يتم تنحيته قبل أن تمضي السنوات الثلاث حتى لا يستقل بها(٥٧).

٢- الولاء للإمبراطور:

جعل أغسطس جميع القوات الرومانية في جميع أنحاء الإمبراطورية -بما فيها مصر- **تدين له شخصيا بالولاء والطاعة**، إذ صار الجنود الرومان يقسمون بالطاعة للإمبراطور بدل روما، ويتعهدون بتنفيذ جميع أوامره، وبأنهم لن يهجروه، وسيكونون دائما مستعدين للتضحية بحياتهم في سبيل عظمة الإمبراطورية الرومانية التي صار يمثلها هو شخصيا(٥٨).

٣- عزل مصر:

لقد تجلت سياسة أغسطس الأمنية أوضح ما يكون في **عزل مصر** عن الإمبراطورية الرومانية، فرغم أن جميع الناس عاشوا في أرجاء الإمبراطورية الرومانية في عوالم مغلقة وفي عزلة عن بعضهم، رغم كل ما قيل عن الرحلات والمبادلات والانفتاح على الخارج، إلا أن العزلة كانت أعمق ما تجلت في حياة الفلاحيين في الريف، والحرفيين في المدينة، حتى المجموعات الأثنية انطوت على نفسها[٥٩]. وقد تمثلت العزلة في مصر في حرمان المصريين في الاشتراك في إدارة بلادهم، أو التنعم بخيراتها، ما جعلهم كالغرباء فيها، كما تم رفض ادماجهم بمجتمع الإمبراطورية الرومانية الجديد؛ من خلال التشدد في شروط منح المواطنة الرومانية للمصريين، التي كانت تتطلب موافقة الإمبراطور شخصيا، ولما كان الطريق العادي للحصول على المواطنة الرومانية هو التطوع في الجيش، فإنه مَنَع على أكثر المصريين من التطوع فيه[٦٠]. وحتى عندما أمسى التطوع مسموحا في نهاية القرن الثاني للميلاد، قصروه على التطوع في البحرية الرومانية أو في الوحدات المساعدة، وكان المتطوع يحصل على حق المواطنة الرومانية بعد ٢٥ سنة، أي بعد أن يكون المجند قد قضى معظم حياته في الخدمة العسكرية، وربما أن نصف المتطوعين أو أكثر قد قضوا نحبهم قبل أن يدركوا تسريحهم، والنصف الباقي؛ الذي خدم في الجيش ٢٥ عاما كان أغلبهم قد تطوع في العشرين من عمره، وهكذا عند التسريح يكون قد قضى ثلاثة أرباع عمره الحقيقي في الخدمة الفعلية[٦١]، وبعد هذه السنوات الـ (٢٥) يقدم المحارب عريضة يطالب فيها بحصوله على حق المواطنة، ويمكنه نقل هذا الحق إلى أولاده وأحفاده، وبذلك يمنحهم حق المواطنة أيضا[٦٢]. كما تم عرقلة أمور انتقال المصريين من مرتبة اجتماعية إلى مرتبة اجتماعية أعلى، وهكذا تأخر دخول المصريين إلى مجلس الشيوخ الروماني زمنا طويلا، على خلاف غيرهم من أبناء الولايات الرومانية الأخرى. حتى على مستوى الإدارة المحلية كان مصر محرومة من المجالس البلدية، التي كانت أبسط أشكال الإدارة الذاتية[٦٣].

٤- تشويه الشخصية المصرية:

خاض الرومان **حملة تشويه شرسة ضد الشخصية المصرية**؛ فحاولوا ازدرائها وتصوير أهلها بالعنف والهمجية القبيحة، مدفوعين بعنصرية بغيضة، فرغم أن سْتَرَابُون Strabo (٦٤ ق.م - ١٩م) الذي عاصر احتلال مصر وزراها، وكان خبيرا إغريقيا في الجغرافيا السكانية؛ يصف أهلها بكثير من الإنصاف إذ يقول: «**تميزت مصر منذ أقدم الأزمنة بحياتها المسالمة... ولاتزال البلاد حتى يومنا هذا تعيش مثل هذه الحياة المسالمة الأمنة نسبيا ويشهد على هذا ما يلي: يحقق الرومان نجاحا واضحا في حماية البلاد بثلاث فيالق فقط، بل حتى هذه ليست كاملة... والرومان لم يوحدوها لإدارة عمليات مشتركة، وسبب قلة أعداد القوات الرومانية أنه لم يتميز سلوك المصريين أنفسهم، ولا سلوك جيرانهم بالعدوانية**»[٦٤]، ويقول في فقرة أخرى: «**منذ أقدم الأزمنة يعيش المصريون حياة مدنية ثقافية، وقد سكنوا في أماكن شهيرة وإنجازاتهم معروفة. وعلاوة على هذا يحظى المصريون بالاحترام والتبجيل من قبل الآخرين**[٦٥]». لقد بدأ ازدراء المصريين منذ أن أخضع أغسطس مصر؛ عندما زار العجل أبيس Apis؛ معبود المصريين، فبدل أن يبدي له الاحترام، سخر من عبادته بالقول: «إنه متعود على عبادة الآلهة لا الحيوانات»، « λεγων «θεούς ἀλλ΄ουχὶ βοὺς προσκνειν εἰθίσθαι[٦٦].

ويبدو أن هذا الازداء وجد من يروج له في روما نفسها؛ فقد قام الشاعر الروماني المشهور **جوفينال** Juvenal في هجائيته الخامسة عشر؛ بالسخرية من الأرض المجنونة التي يعبد سكانها

المصريون الوحوش الغربية (portenta) لا بل وأدعى أنهم يعبدون القطط والكلاب والأسماك والقرود والطيور والتماسيح، ويقضون وقتهم على الاقتتال فيما بينهم أي هذه الآلهة أفضل، وهذا ما أدى إلى كراهية عميقة بين القرويين فيما بينهم. بمعنى أن الكراهية والعنف صفتان تلازمان المصريين. وحسب ادعاءات جوفينال كان أبناء القرية يقضون وقتهم بمهاجمة جيرانهم في أيام الأعياد، ويعتدون على بعضهم بالضرب؛ ما يتسبب بجرح وخدش وتكسير عظام أطراف وأنوف بعضهم. هذا ناهيك عما روج له الرومان بأن المصريين حمقى يأمنون بالخرافات، غير مستعدين للخضوع لمبادئ القانون، وبأنهم متوحشون يأكلون اللحم البشري، وأنهم يأكلونه من غير طبخ؛ أي أنهم يخالفون الإنسانية في أبسط مبادئها في قضيتي تناول اللحم البشري، المحرمة إنسانيا، وقضية الطبخ المتفق عليها إنسانيا، وبالتالي هم أبشع سكان ولايات الإمبراطورية. لا شك أن هذه الادعاءات تدعوا للسخرية، ولا يمكن تصديقها، لكن للأسف وجدت من يصدقها بين عوام الرومان[٦٧]. ولم يكتف الرومان بالطعن بالمصريين بل تعدوهم إلى الطعن باليونان والمقدونيين المقيمين عندهم، إذ أدعوا أنهم انحطوا إلى مستوى المصريين، بعد أن تأثروا بهم، وهكذا نظر الرومان إلى اليونان والمقدونيين المقيمين في مصر نظرة ازدراء، ورسموا صورة غير صادقة عنهم[٦٨].

٥- نشر ثقافة الهزيمة بين المصريين:

لقد نشر الرومان **ثقافة الهزيمة** بين المصريين، إذ عمدوا في جميع الولايات التي احتلوها؛ بما فيها مصر، إلى تكريس صورة الإمبراطورية الرومانية المنتصرة، وذلك من خلال العملات المعدنية، والنقوش، والأنصاب والتماثيل، التي تمجد فكتوريا Victoria ربة النصر عند الرومان، وكثيرا ما نشاهد تمثالها النصفي على العملة. كما انتشرت الرموز العسكرية الرومانية الأخرى كتصوير العربات الحربية، أو معبد الإله مارس Mars إله الحرب عند الرومان، أو نبات الغار، أو أقواس النصر، أو مشاهد من أعمال انتقامية قام بها الجيش الروماني. حتى لقب أغسطس الذي حصل عليه الإمبراطور الروماني، والإذن الذي منحه مجلس الشيوخ الروماني له بزرع شجرة غار أمام باب منزله، كلها أمور توحي بدوره كمنتصر روماني على سكان الولايات المهزومين[٦٩].

٦- احكام القبضة الأمنية على مصر:

لقد تم نشر الجنود الرومان في مصر بطريقة استراتيجية، إذ لم يكن الجنود الرومان مثلهم مثل الجنود البطالمة؛ جنودا ومزارعين في آن واحد، يعيشون في الأرياف والمدن المصرية مع عائلاتهم في أراضيهم الزراعية، التي وزعها عليهم الملك البطلمي[٧٠]، بل كانوا حاميات عسكرية يعيشون في حصون رومانية praesidia أسكنهم فيها أغسطس. وبدل نشر هذه المعسكرات في المناطق السكنية في الوادي أو الدلتا، تم بنائها في مناطق معزولة ذات أرض وعرة ومناخ قاسي كالصحراء الشرقية، أي بعيدا عن مراكز السكنية الأساسية في مصر[٧١]. ولم تكن هذه الحصون حصونا كبيرة، بل حصونا صغيرة؛ لا يزيد عدد أفراد حاميته عن ثلة من الجنود المشاة مع عدد من الخيالة؛ من أجل القيام بخدمة البريد[٧٢].

وقلَّ ما كان الجنود الرومان يغادرون حصونهم، إذ كان كل حصن روماني مزود بجميع أسباب الحياة، إذ كان فيه الحرفيون من مختلف المهن الضرورية؛ كالنجارين والحدادين والرسامين وعمال البناء، وذلك من أجل القيام ببناء أو إصلاح الأبراج الخشبية، أو بناء أو إصلاح الحصون والثكنات أو إصلاح الأسلحة والعربات، كما امتلك الجيش الروماني ورشات جوالة لصناعة الدروع والخوذ

والأقواس وسهام والرماح ومختلف أنواع الأسلحة الدفاعية، كان هدفه الرئيسي توفير جميع متطلبات الجيش ضمن معسكراته(٧٣). وكان الجنود المرابطون في هذه الحصون، في غالبيتهم من الوحدات المساعدة، والتي كانت تضم عناصر مختلفة نبطية ومصرية وآرامية وتراقية ورومانية، وأعداد كبيرة من الإغريق المتوطنين في مصر، والذين كانوا يتواصلون مع أهاليهم عن طريق كتابة الرسائل على الألواح الفخارية الأوستراكا ostraka، وكان جنود الحصون الرومانية في الصحراء الشرقية يجيدون الكتابة، أو أنهم أملوا على شخص (جندي) يجيد الكتابة، وهكذا يوجد أكثر من عشرة آلاف أوستراكا مكتوبة باللغة اليونانية تم اكتشافها من مصر؛ في الصحراء الشرقية ووادي النيل، خلال هذه الحقبة من الزمن. وقد شكلت هذه الرسائل مادة غنية للتعرف على أحوال تلك الحصون، وعلى الأحوال الاجتماعية للجنود، وسياسات روما في نهب ورادات مصر من الصحراء الشرقية، طوال القرنين الأول والثاني؛ عندما كان التعدين وخطوط التجارة الدولية فيها في ذروة نشاطها(٧٤).

ولم تكن عملية نشر الحصون الرومانية هذه قد تمت بصورة اعتباطية أو عفوية، أو حتى دون تخطيط، بل بالعكس تماما، إن اختيار الصحراء الشرقية والأماكن النائية كان بأكثر من **دافع لوجستي** أولها عزل الجنود الرومان في معسكرات بعيدة عن السكان المدنيين في مصر، وهي سياسة انتهجاها أغسطس في سبيل بقاء ولاء هذه القوات له وحده، فإذا ما تمرد السكان؛ فإنها لن تتردد في القضاء على تمرهم دون أن تأخذها بهم رحمة. إذ كان الرومان مستعدين لصيانة **أمنهم القومي** بالقوة، الذي أطلق عليه أغسطس اصطلاحا مسمى «السلام الروماني Pax Romana»، فاستمرار تذكر الولايات أيام استقلالها، وتذكر الأهالي أمجاد أسلافهم، كان ذلك محرضا على الثورة والتمرد، ومرتعا خصبا لحركات الانتفاضة. ولم تكن روما مطمئنة إلى أمن الولايات ولاسيما التي كانت في الأمس القريب تهدد مباشرا كما هو الحال مع مصر. لقد كان الحل المنطقي كان هو وضع الحاميات العسكرية والفرق الرومانية في قلب المدن والمقاطعات الرومانية. لكن الرومان لم يسلكوا هذا الخيار(٧٥).

إن دراسة توزع القوات الرومانية على الخريطة يبين أنها لم تتمركز في المدن الكبرى، أو في وادي نهر النيل، أو في الدلتا، أي أنها لم تتمركز في الأماكن المكتظة بالسكان، بل استهدف توزعها حماية خطوط التجارة الدولية المارة في مصر، والتي كانت تزود روما بمنتجات شرق آسيا عبر البحر الأحمر والمحيط الهندي، وغالبا ما كانت هذه الطرق تتعرض لمضايقات قطاع الطرق. لقد وضع أغسطس الجيش في مهمة الدفاع عن خطوط التجارة مع الشرق، وأمن روما الاقتصادي، بدلا من وضعه في خدمة سكان الولاية، والأهم أن دفاع روما المستميت عن التجارة الشرقية لم يعد بأي فائدة على الشعب المصري في الدلتا أو في وادي النيل(٧٦).

ولما أدركت السلطات الرومانية أن مدينة الإسكندرية كانت بحاجة إلى حراسة عسكرية قوية للحفاظ على الهدوء والأمن فيها، بسبب كثرة حوادث الشغب والفوضى فيها، على خلاف بقية أرجاء مصر التي كان يمكن السيطرة عليها بقوات قليلة، فإنها لم تغض الطرف عنها (أي الإسكندرية)، وحينما سحبت أجزاء من الفرقة الثانية والعشرين المرابطة في ضاحية النصر القريبة منها، حل محلها الفيلق الثالث مباشرة، والتي نُقل إليها من بابليون، لتدعيم الحاميات الرومانية هناك، وبعد ذلك كانت الفيلق الوحيد الدائم في معسكراته في مصر هو ذلك الفيلق المرابط عند أبواب الإسكندرية(٧٧). إن سياسة وضع ثلة من الجنود في قلب الولاية وتوزيع باقي الجيش على

الحدود، يبدو لنا أمرا غير قابل للتصديق، لكنه حدث فعلاً في ولاية مصر الرومانية، إذ اتبع الأباطرة الرومان سياسة نشر الفيالق الرومانية على حدود الإمبراطورية، وكانت هذه الفيالق باستطاعتها أن تعود أدراجها إلى الوراء إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك. فبعد أن تعجز قوى الأمن الموضوعة تحت تصرف الإدارات المحلية عن إعادة الأمن إلى نصابه، وأثناء أي تمرد أو عصيان أو انتفاضة شعبية، تلجأ السلطات الرومانية إلى الفيالق الرومانية المرابطة على الحدود، وهكذا تم إخماد جميع الثورات على الدولة الرومانية(٧٨).

ومثلما كانت الفرق القوات الرومانية المرابطة في مصر على استعداد قمع انتفاضات سكانها، ورد الغارات الخارجية عنها، والقيام بجميع النشاطات الاقتصادية فيها أوقات السلم، ولاسيما التعدين في الصحراء الشرقية، وحماية المناجم، كانت على أهبة الاستعداد للمشاركة في فرض السيادة الرومانية في خارج مصر أيضا(٧٩)، فعلى سبيل المثال شاركت في الحملة الرومانية التي بعث بها الإمبراطور أغسطس في سنة ٢٤ ق.م لاحتلال اليمن(٨٠). كما شاركت عهد الإمبراطور فلافيوس فسباسيان Fiavus Vespasian (٦٩- ٧٩م) في فرض السيادة الرومانية في فلسطين؛ عندما استدعى الإمبراطور الفيلق الثالث المرابط من مصر للمشاركة في الحرب اليهودية الأولى ٦٩- ٧١م. وهذا الفيلق الذي عاد أدراجه إلى مصر، عاد للمشاركة في عملية ضم شرق الأردن إلى الإمبراطورية الرومانية في سنة ١٠٦م، والتي لم تكن بالنسبة له عملية معقدة، إذ زحف من مصر عبر سيناء والعقبة فأخضع البتراء وتمركز في بصرى عاصمة الأنباط، ترافقه مجموعة من الوحدات المساعدة منها الكتيبة الإسبانية الأولى، وكتيبة طيبة الأولى؛ التي وحفت هي الأخرى من مصر إلى فلسطين لتشارك في أمور تنظيم الولاية العربية(٨١).

كما هدف أغسطس للحفاظ على خشونة الجيش؛ فوجود الجيش الروماني على الحدود في المناطق البعيدة، يدفعهم للحافظ على مثل الجندية الرومانية. ثالثها إنماء المناطق النائية؛ فوجود الجيش في تلك الأطراف يساعد على تحسينها ويبعث فيها الحركة والنشاط، عن طريق التشجيع على الانتاج والتعدين وتنشيط مرافق التجارة وبناء الطرق والمدن، وربما أن ذلك النشاط الفعال في تلك الأماكن البعيدة سيساعد على تثبيت السكان في المدن والأرياف النائية، ومد الجيش بعناصر بشرية خشنة الطباع، والمعروفة بروح المغامرة، والتي يمكن أن تتحول إلى عناصر شغب وقلق وإزعاج، إذا لم يحسن الحاكم استثمار طاقاتها(٨٢). والأهم من أنماء المناطق البعيدة هو تأمين سلامة خطوط التجارة الدولية التي تربط وادي النيل بالبحر الأحمر، التي سعى أغسطس منذ اليوم الأول لحكمه للاحتفاظ بها آمنة، لذلك طور الرومان في الصحراء الشرقية نظاما أمنيا متينا. كما أن الصحراء الشرقية نالت اهتماما خاصا عند الإمبراطور الروماني أغسطس؛ بسبب الثروات المعدنية الكبيرة، والنشاط التعديني الذي كان موجودا فيها، ومقالع الحجارة، وغيرها من ثروات(٨٣).

وقد كان الجيش الروماني في مصر مشبعا بفكرة ازدراء المصريين، وكان هناك تفاعلات قليلة بين الجيش والسكان. لم تكن الحصون موضوعة لحماية المدن ضد الهجمات، وإنما كانت معدة لحماية طرق التجارة من قطاع الطرق، تشير المربعات إلى المخافر العسكرية الأمامية للقوات الرومانية بينما تشير الدوائر إلى المستوطنات، وهكذا يظهر بأن المخافر تركزت في المناطق الصحراوية بعيدا عن المستوطنات السكنية، كما كانت هناك وحدات عسكرية رومانية صغيرة

تركزت في منطقة جنوب الدلتا، لكنها حرمت من التفاعل مع السكان بسبب القوانين الرومانية الشديدة في هذا الخصوص(٨٤).

لم يكن **الإمبراطور تيبيروس** Tiberius (١٤- ٣٧م) يرغب في خوض غمار أي حرب، بل كان يريد أن تستقر قوات الاحتلال الروماني في الولايات (المستعمرات)، وأن تحمي عملية جباية الضرائب وتؤمنها، مقتفيا نهج أغسطس من قبله(٨٥). وقد استمرت مصر من الناحية الأمنية هادئة طوال عهد، حتى أنه في السنة العاشرة من حكمه خفض عدد القوات الرومانية العاملة في مصر من ثلاث فرق إلى فرقتين، إذ بعث بالفرقة الثالثة إلى سوريا. وقد كان للرقابة الصارمة التي فرضها تيبيروس على ولاته أثرها في الهدوء العام الذي ساد في مصر. ولعل أهم الأحداث الأمنية الخطيرة التي عصفت بمصر، والتي تشرح لنا مدى شدة القبضة الأمنية على مصر، هي **زيارة جرمانيكوس قيصر** Germanicus Csesar (ابن شقيق الإمبراطور تيبيروس) إلى الشرق في سنة ١٧م، لتنظيم شؤون الولايات الرومانية هناك، فما كان من جرمانيكوس إلا أن استغل وجوده في الشرق، وزار مصر دون أذن من الإمبراطور، وهناك قام بجولة سياحية بين آثارها، وخالف الأعراف والتقاليد الرومانية بالسير بين سكانها دون حراسه مرتديا عباءة وصندلا إغريقيا، ويبدو أنه كان يهدف إلى عدم إثقال كاهل المصريين بأي أعباء إضافية بمناسبة هذه الزيارة، ولما كانت زيارته قد ترافقت مع شُح الحبوب في مصر، فإنه فتح مخازن الغلال العامة ووزعه على الناس، ما أدى إلى انخفاض سعره. ولما كان القانون اليوناني الذي سنه أغسطس يحضر على الشخصيات المهمة في روما عدم زيارة مصر دون موافقة مسبقة من الإمبراطور شخصيا، ولما كان جرمانيكوس حفيدا لمارك أنطونيوس من جهة أمه، فإن هذه الزيارة أثارت سخط عمه الإمبراطور تيبيروس عليه، فوبخه بلهجة قاسية، لاسيما أنه كان هناك شبه قناعة عند أباطرة الرومان أن مصر مستعدة للثورة عليهم متى وجدت من يدعوها إلى ذلك، ويبدو أن والي مصر في حينها آيميلوس ركتوس Aemilius Rectus زاد الطين بله عندما بعث بتقارير سرية للإدارة الرومانية فسر فيها كثير من تصرفات جرمانيكوس على أنها بنية الخيانة. وبعد أن عاد جرمانيكوس من مصر إلى سوريا داهمه المرض في عاصمتها أنطاكية، وهناك توفي في خريف سنة ١٩م، فظنت روما كلها أن الإمبراطور دس السم لابن شقيقه في الطعام؛ بعد أن تخوف من نواياه. فما كان من الإمبراطور إلا أن اتهم صديقه والي سوريا الروماني أجانيوس بيزو Ganeus Piso بهذه الجريمة، إذ كان جرماينكوس قد تنازع معه بعد عوته من مصر، فقدمه للمحاكمة في مجلس الشيوخ الروماني، ولما أيقن المتهم أن مجلس الشيوخ سيدينه فضل الانتحار، حتى تحتفظ أسرته بأملاكها(٨٦). وقرب نهاية حكم تيبيروس كان هناك خوف من اضطرابات جديدة في مصر، وهذا الخوف يمكن أن نلمسه في مرسوم أصدره الوالي أفيليوس فلاكوس حرم فيه حمل السلاح وأن من يخالف ذلك سيكون جزاءه الإعدام، ويبدو أنه في أعقاب صدور هذا المرسوم كانت هناك زيارات تفتيشية للناس في مواطنهم بحثا عن السلاح وعثر على كميات كبيرة من الأسلحة، ويبدو أن قبضة فلاكوس الأمنية الصارمة منعت تفجر أي أعمال خطيرة حتى وفاة تيبيروس(٨٧).

ولما نجحت دسائس **اليهود** عند الإمبراطور الروماني الجديد **كاليغولا** Caligula في عزل والي مصر، وإن الطريقة التي عزل بها الوالي تُعبر عن عمق المخاوف الأمنية في روما من والي مصر، إذ أرسل أحد كبار الضباط خصيصا من روما، وبرفقته كتيبة من الجنود، وحينما اقتربوا من الإسكندرية انتظروا حتى حلول الظلام، ثم دخلوا إلى الميناء وأسرعوا بعد ذلك في مباغتة

الوالي قبل أن تصله أنباء السفينة الرومانية، وألقي القبض عليه وهو يتناول الطعام في حفلة عشاء، وعادوا به إلى السفينة دون تأخير، ثم تم اقتياده إلى روما حيث حوكم هناك، ثم نفي، وبعدها قُتل في منفاه[٨٨].

أما في عهد **الإمبراطور نيرون** Nero (٥٤ – ٦٨م) كان الخطر على درجة من الصعوبة ويحتاج إلى معالجة، فقد تراجعت قوة مملكة مروى بلاد النوبة، التي كانت تتمتع بعلاقات طيبة مع مصر الرومانية نحو ثمانين سنة، وكخطوة أولى أرسل نيرون بعثة إلى أعالي نهر النيل في سنة ٦١م بغرض عضد المملكة التي كانت تشكل إمارة فاصلة بين الرومان في مصر والأحباش في أكسيوم[٨٩]، بينما ذهب البعض أن نيرون كان يسعى إلى نصر رخيص، وربما كان الهدف من البعثة هو التلويح بالقوة لمملكة أكسيوم التي كانت راغبة بالتمدد على بلاد النوبة، واحتلال سواحلها المطلة على البحر الأحمر. لقد قابلت السلطات النوبية هذه البعثة بالترحاب وقدمت لها التسهيلات، ويسرت لها مهمتها حتى وصلت إلى أعالي النيل الأبيض، وقد عادت البعثة بخريطة مفصلة وتقرير شامل في سنة ٦٤م[٩٠]، والذي أوضح أن إمكانات مملكة مروى فقيرة، فالمناطق المسيطرة عليها بين أسوان وأكسوم عبارة عن صحراء قاحلة، وكان من الضروري بالنسبة للرومان اتخاذ اجراءات أكثر قوة لمجابهة الأحباش، فخططوا للقيام بحملة ضد أثيوبيا، واقترح الإمبراطور نيرون أن يقوم بزيارة لمصر للإشراف على هذه الحملة. ورغم أن هذه الزيارة أجلت فإن القوات بدأت تتمركز في الإسكندرية، ونقلت فرقتان على الأقل من تلك التي كانت على الجبهة الفارسية إلى الإسكندرية، ولما انفجرت الثورة في اليهودية تم توجيه القوات المرابطة في الإسكندرية إلى فلسطين بدلا من اثيوبيا[٩١].

في عهد **الإمبراطور فسبسيان** (٦٩- ٧٩م) الذي كان قائدًا للقوات الرومانية المرابطة في سوريا، وأعلن نفسه إمبراطوراً فيها، لم يدعم مركزه إلا عندما أعلن والي مصر مناصرته، وقبل أن يذهب فسبسيان إلى روما حضر إلى مصر لأخذ يمين الولاء بنفسه، وهناك استقبله المصريون في الإسكندرية استقبالاً كبيراً؛ حتى أنهم كانوا أول من نادى به إمبراطوراً، وسلموا عليه بتحية الإله، وأشاعوا حوله الكثير من المعجزات؛ كإبراء الضرير ومعالجة المعاق، واستبشر المصريون بالإمبراطور الجديد خيرا[٩٢]. لقد كان الشرق كله يطمع أن يحقق له فسباسيان المساواة ما بينه وبين الغرب؛ من خلاله منحه مزيدا من الحرية، ومنحه حقوق المواطنة الرومانية، لكن فسباسيان لم يكن ذا نهج عالمي؛ فهو بحكم مولده الإيطالي قد توافرت فيه كل الخصائص والميول الانحيازية التي اتسم بها الإيطاليون، كان فسباسيان يعلم أنه ما لم يحصل على تأييد الولايات الرومانية الغربية فإن مصيره إلى التهلكة، وكان يعلم أن معارضة المقاطعات الشرقية ليست فيها خطر حقيقي عليه، فلم يبدل من سياسة روما شيئا[٩٣]، لا بل إنه كان شخصا لا يعرف سوى البحث عن مصالحه الخاصة، ولا يهتم إلا بالأموال التي تجمعها لخزائن الدولة. حتى أنه قام بجمع مبالغ ضخمة من المصريين بطرق مختلفة متغاضيًا عن مصدرها، لا بل قام بتحصيل ضرائب كانت مهملة، وزاد الكثير على الضرائب التي كانت مفروضة، وفرض ضرائب أخرى جديدة[٩٤].

٧- مد الطرقات الرومانية في مصر:

إمعانا في تطبيق روما سياستها الاستعمارية في ولاياتها، كان على جميع الأباطرة الرومان مد وصيانة شبكات الطرق السريعة والموصلات في الإمبراطورية، والتي كانت تقوي قبضتهم الأمنية عليها، وتسمح لهم بالتغلغل فيها، وتخدم مصالحهم التجارية، لذلك كانت معظم هذه الطرق

في الصحراء الشرقية الهدف منها ربط البحر الأحمر بوادي النيل، دون أن تهدف إلى تخديم القرى المصرية بأي شكل من أشكال المواصلات. وكان من أهم الأباطرة الذين اهتموا بمد شبكات الطرق الإمبراطور أغسطس، وتيبيروس، كلاوديوس، ونيرون، وفسباسيان، وتيتوس، ودميتيان، إذ يعود لهؤلاء الأباطرة الدور الأكبر في بناء شبكات الطرق في شبه الجزيرة الإيبيرية (إسبانيا والبرتغال)، ودلماسيا (يوغوسلافيا)، وأفريقيا، ومصر، وسوريا[٩٥].

وكما في سوريا وشرقي الأردن كذلك في مصر؛ اعتمدت الدولة الرومانية على أيدي جنودها في مد الطرقات وبناء الحصون، وحتى في التعدين، فقد أحسنت الإدارة الرومانية استثمار طاقات جنودها في أيام السلم، لأنه في أيام السلم يصبح الجيش ورواتبه الباهظة عبئا ثقيلا على أية دولة، ما لم تحسن الاستفادة من هذه الجموع الكبيرة والقوى الفتية وتوظيف طاقاتها، وهذا ما فعله الرومان[٩٦]، إذ كشف المسح الأثري للصحراء الشرقية في مصر عن مدى الاهتمام الكبير الذي أبداه الرومان بهذه الصحراء الغنية بالمعادن والمحاجر، وقد لاحظ علماء الآثار أن الطرق الرومانية في الصحراء الشرقية هي الطرق نفسها التي خطها الفراعنة وطورها البطالمة، وهي عبارة عن مسالك صغيرة غير معبدة. لكن الرومان قاموا برصفها وأقاموا على مسافات معينة علامات لتحديد المسافات، وأقاموا عليها محطات لمياه الشرب؛ وهي عبارة عن بناء مربع له بوابه يعلوه برجان للحراسة. ولقد أثبت التقارير الأثرية أن طريق ميوس هوروس Myos Hormos – قفط Quft كان من أهم طرق نقل بضائع البحر الأحمر إلى مصر خلال عصر الرومان، وكانت الرحلة على هذا الطريق تستغرق على ظهور الجمال ستة أو سبعة أيام، وكان مزودًا بصهاريج الماء، ومحطات الاستراحة للتجارة، ونقاط الحراسة الرومانية. كما كان لهذا الطريق فرع مُعبد صغير؛ يربط بينه وبين محاجر كلاوديوس، حيث كانت العربات تحمل الرخام والحجارة المنحوتة من هناك. وكانت المحطات التجارية في ميوس هورموس ذات بناء محصن بأبراج؛ مثل القلاع تماما، وبجوارها معبد صغير[٩٧].

وعن هذا الطريق يتحدث سْترَابُون فيقول: «**ولقفط وميوس هوروس في وقتنا الراهن سمعة طيبة، والناس تزورهما دائما، وفي ما مضى كان تجار قوافل الجمال لا يعبرون هنا إلا ليلا، إذ كانوا يحددون اتجاه طريقهم بالنجوم، ومثلهم مثل البحارة؛ كان هؤلاء يحملون الماء معهم، أما الآن فحفروا آبار عميقة، وبنوا أحواضا خاصة لجمع ماء المطر، مع أن هذا الأخير لا يكفي، وتستغرق الطريق إلى هناك ستة أو سبعة أيام، كما توجد في هذا البرزخ مناجم الزمرد والأحجار الكريمة التي يحفر العرب لاستخراجها ممرات مستقيمة**[٩٨]».

لقد تحولت مصر إلى ولاية إمبراطورية، وحلت فيها الجحافل الرومانية للتعامل مع هجمات الطامعين فيها، وهذا ما دفع الإمبراطور كلوديانوس Claudianus (٤١ - ٥٤م) لأن يبني على طريق قفط ما بين وادي النيل وساحل البحر الأحمر، مخفرا رومانيا كل ثلاثين كيلومتر (١٩ميل)[٩٩]. وقد تزامنت فترة نشاط التعدين في الصحراء الشرقية مع فترة أقوى أباطرة القرن الثاني، وهي الفترة الممتدة من حكم تراجان Trajan إلى حكم أنطونيوس بيوس Antoninus Pius، فخلال هذه الفترة امتدت في الصحراء الشرقية شبكة من الطرق الرومانية الرائعة، كان من بينها طريق تيرنا Viae Terrenae الذي تم رصفه، وقد تراوح عرضه ما بين ٥،١ إلى ٣٠م، كما كان هناك طريقان عسكريان، الأول هو الطريق من ميوس على البحر الأحمر إلى قفط في وادي النيل، ويبلغ طول هذا الطريق نحو ١٨٠كم، أما الطريق الثاني هو الطريق التجاري من

برنيك Berenike عاصمة إقليم البحر الأحمر إلى قفط بمسافة تقدر ٣٨٠كم، وقد حُصن كلا الطريقين بقوة جيدة، فهناك مخفر عسكري روماني كل ٣٠كم؛ على طول كلا الطريقين، كان الحصن العسكري الروماني صغيرا لا يتسع لأكثر من بضع مئات من الجنود، فقد كان كلاوديوس قد وزع ٩٠٠ جندي في كل حصن[١٠٠]. وتجدر الإشارة إلى أن تراجان أمر بإعادة حفر القناة التي تربط بين نهر النيل في مصر والبحر الأحمر، والتي عرفت بقناة تراجان، وأمر الإمبراطور تراجان أيضا بالإبقاء على أسطول روماني في البحر الأحمر لحمايته بشكل دائم، وقد أدت جهود تراجان هذه إلى زيادة العلاقات التجارية بين مصر وشبه الجزيرة العربية، وبين روما والهند ففي سنة ١٠٧م استقبل تراجان بعثة هندية في روما[١٠١].

بينما قام الإمبراطور هادريان Hadrien (١١٧- ١٣٨م) بدعم الطرق الخاصة بالبحر الأحمر، فقام ببناء طريق جديد في الصحراء الشرقية يبدأ من مدينته التي شيدها في مصر على الجانب الشرقي للنيل وهي أنطونيوليس (في محافظة المينا) وينتهي عند ميناء مصر الأول على البحر الأحمر وهوميوس هوروس، وقد عرف هذا الطريق باسم طريق هادريان الجديد وكان يمر بمنطقة منبسطة آمنة وأفضل بكثير من الطرق القديمة، وكان هدفه تقصير المسافة بقدر الإمكان لخفض تكاليف السلع[١٠٢]. وقد وصلنا نقش من مصر يقول: «لقد أمر القيصر هادريان بأن تزود الطرق التي أقيمت من قبله بخزانات المياه، واستراحات، ومفرزات عسكرية للحراسة»[١٠٣].

٨- نهب الموارد وإفقار السكان:

تعتبر الدولة الرومانية في عصرها الإمبراطوري إحدى أهم القوى الاستعمارية العالمية؛ الرأسمالية، الإمبريالية، التي أخضعت لحكمها مستعمرات عديدة في سبيل نهب ثرواتها. ومثل كل الدول الاستعمارية سخرت روما الحياة الاقتصادية في (ولاياتها) مستعمراتها لخدمة اقتصاد شبه الجزيرة الإيطالية والعاصمة روما، إذ مارست رأسمالية الدولة التي سخرت حاصلات الولايات الرومانية الزراعية وانتاجها الصناعي وثرواتها المعدنية ليتمتع بها سكان روما. فكانت عاصمة الإمبراطورية في ظل هذا النظام الاقتصادي الإمبراطوري الرأسمالي مركزا يعج بالحيوية والنشاط والازدهار، طبعا على حساب الولايات (المستعمرات) المغلوب على أمرها، فمن روما تبدأ جميع طرق المواصلات البرية والبحرية، وكانت روما ترسل عبر هذه الطرق إلى ولاياتها الأوامر والتعليمات، والبريد، والجيوش، والولاة الذي كان عليهم اجبار هذه سكان هذه الولايات على أن يدفعوا الخراج المفروض عليهم، وأن يرسلوا اليد العاملة الخبيرة في مختلف الاختصاصات، وأن يزودوا العاصمة بكل ما تنتجه بلادهم من محاصيل زراعية وخامات معدنية ومختلف أشكل المواد المصنعة[١٠٤].

وعلى الرغم من كل الاعتبارات التي تداخلت في تنظيمات أغسطس لمصر، ووضعه قواعد للحكم الروماني فيها، فإن القواعد التي وضعها ممثلة في نظام **مدير الحساب الخاص** تعتبر متطابقة تماما مع سياسة التفرقة العنصرية في العالم القديم، وتهدف لكبح جماح الشعب المصري، وتعكس موقف الرومان العدائي اتجاه مصر[١٠٥]. وبناء على ما تقدم لم يحاول أغسطس نشر اللغة اللاتينية فيها، أو أن يبني فيها مدنا أو مستعمرات على النظام الإيطالي، كما فعل في آسيا الصغرى وسوريا، واكتفى أن تكون علاقة روما بمصر علاقة استغلال ونهب للموارد؛ ولهذا **فرضت الضرائب** بكل أنواعها، فكان منها ضرائب على حيازة الأرض، ومقدارها خُمس المحصول تقريبا، وضريبة الرأس التي فرضت على المصريين، وضريبة المهن والحرف، ثم سخرة تطهير القنوات وتقوية

السدود وكانت مدتها خمسة أيام من العمل في الظروف العادية، ويمكن تمديدها في الظرف الاستثنائية، أما الضرائب غير المباشرة فهي ضريبة البيع؛ إذ فرضت ضريبة ٥٪ على العقارات، وضريبة ١٪ على المبيعات التي تباع في المزادات، وضريبة الجمارك والمكوس التي فرضت على التجار؛ وكانت تتراوح ما بين ١٠- ٢٠ % من قيمة البضاعة المستوردة أو المصدرة(١٠٦). كما جرت العادة أنه يتوجب على سكان القرى عند انتشار الوحدات العسكرية أو الضباط ونزولهم بالقرب منها أو فيها، أن يقدموا لهم خدمات معينة، مثل الإيواء والسكن والطعام والشراب وهكذا، وكانت مثل هذه المطالب مُصرح بها من قِبل الإدارة، ولكن يبدو أن الجنود الرومان كانوا يغالون فيها حرصا على مصالحهم الخاصة(١٠٧).

ومن سياسة روما الاستعمارية في تكريس سيادتها على مصر أنها **سخرت نظام الأرض** في مصر لصالحها؛ فرغم أنه بقي في الظاهر كما كان سابقا في عصر البطالمة، إذ استمر نظام تقسيم الأرض إلى نوعين؛ أرض ملك الدولة وأرض ملك الأفراد، بينما في الواقع أسس أغسطس سياسة تختلف عن سياسة البطالمة تماما؛ فأولا صادر أراضي المعابد وضمها إلى أملاك الدولة نحو سنة ٢٠م، إذ لم يأذن باستمرار وجودها تابعة للمعابد، وتم تحول الكهنة لخدمة ديانة عبادة الإمبراطور الروماني، الذي حل محل الفراعنة المصريين والملوك البطالمة، وكانت هذه أكبر خطوة اتخذها أغسطس للسيطرة على المعابد سياسيا واقتصاديا وحتى دينيا(١٠٨). إذ كان أغسطس يدرك مدى أهمية هذه الخطوة في تكريس سيادة روما على مصر، وقد سمح لبعض الكهنة بالاستمرار في زراعة الأرض التي كانت تابعة للمعبد من قبل على أن يدفعوا إيجارا مخفضا نسبيا للدولة، في حين أعطيت إعانات للمعابد التي توقفت عن الاستمرار في زراعة أراضيها(١٠٩).

كما استولى أغسطس على الأراضي الخاصة التي كان الملك البطلمي قد وهبها لبعض مقربيه، ثم أهملها أصحابها أو هجروها أو قصروا في دفع ما كان مستحقا عليهم من ضرائب. وبعد القراءة عن كل هذه المصادرات سيتخيل للقارئ أن سياسة الرومان لم تختلف عن سياسة البطلمة في جعل الملكية العامة هي أساس الاقتصاد المصري. في الواقع لم تكن المصادرة إلا إجراء أولي الهدف منه ضبط الاقتصاد المصري ومنعه من الاستمرار في التدهور، لكن ما أن استقرت الأمور حتى انتهج الرومان سياسة الملكية الخاصة. فبعد أن أتم أغسطس احتلال مصر منح مئات الجنود الرومان الذين استقروا في البلاد إقطاعات عسكرية لتكون ملكا لهم، ولكن التقليد الذي شاع بعد ذلك هو منح الجنود مكافآت مالية وتشجيعهم على شراء أرض صالحة للزراعة من الدولة بأسعار زهيدة، مع إعفاء من الضرائب لفترة محدودة(١١٠). وهكذا كان تزايد عدد الضياع الشاسعة في عهد أغسطس حتى أصبح طابعا مميزا لمصر، وقد تأكد ذلك الطابع في عهد كلاوديوس ونيرون، وأغلب تلك الهبات كانت هبات قدمها الأباطرة إلى المقربين منهم؛ لقد كانت الضياع الكبيرة ثمرة مبتكرة من صنع الأباطرة الذين وهبوا أو باعوا مساحات واسعة من الأرض لأفراد أسرهم والمقربين إليهم(١١١).

لقد استولى أغسطس من البطالمة على ولاية منظمة تنظيما دقيقا، وتخضع **لنظام مُحكم من الضرائب**، فاعتبرها ضيعة ملكية خاصة به؛ حتى أنه احتكر كل شيء فيها لنفسه؛ لاسيما المحاصيل الاستراتيجية كالبردي والكتان والملح والنطرون، لا بل حتى المناجم والمحاجر كانت تخضع لملكية الإمبراطور الخاصة(١١٢). والأهم هو أن روما فرضت على مصر جزية مالية وضريبة نوعية من **القمح**؛ والغلة يجب أن تشحن إلى روما في كل سنة، أي أن جزءا كبيرا من دخل المصريين

وإنتاجهم الزراعي صار يذهب إلى روما دون مقابل[١١٣]. إن الدور الذي حدده أغسطس لمصر بعد أن ألحقها بالإمبراطورية الرومانية هو أنه يتوجب عليها إطعام مدينة روما. هذا بالإضافة إلى كمية أخرى إضافية لا يعرف على وجه التحديد مقدارها كانت تظل في الولاية لإطعام جيش الاحتلال الروماني[١١٤]. إذ سعت الدولة الرومانية في سياستها الاستعمارية إلى نهب واردات ولاياتها، من خلال جهاز متكامل من الموظفين، فأوراق البردي التي أتت من مصر تبين أن جهاز الموظفين الموكل بجمع الضرائب كان مؤلفا من الجامعين Apaitatai، والمتسلمين Apodektai، والموزعين Diadotai، والمراقبين Epimeletai؛ الذي كان عندهم من المحتمل دور إشرافي. وكان على الشعب المصري تقديم أنواع مختلفة من السلع منها اللحم والنبيذ والقمح والحيوانات والخضار والعدس والشعير، وكان الهدف الأساسي من فرض هذه المواد العينية هو تأمين حاجات الجيش الروماني ومؤنته على نفقة الولاية التي يحتلها، هذا ناهيك أن الحصون العسكرية الرومانية في مصر كان لها متطلبات أخرى مثل جلود حيوانات، وعلف الخيول. ولما كانت مصر إلى وحدات إدارية تسمى أنونا annona، كان في كل وحدة إدارية من هذه الوحدات جامعون ومتسلمون ومراقبون، أي أن المنظومة كانت معقدة، وكان هناك موظف روماني لكل سلعة من السلع في كل وحدة إدارية[١١٥].

ولم يقتصر نشاط الجندي الروماني أثناء الخدمة على القيام بواجباته العسكري فقط، بل تعداها ولاسيما في أيام السلم إلى وجبات الأمن أو الشرطة، فقد كان من الواجب على الجنود الرومان حماية جباة الضرائب ومساعدتهم على القيام بأعمالهم من خلال معاقبة المقصرين أو المتهربين. كما كان عليهم مرافقة شحنات الحبوب، وحماية مناجم المعادن الثمينة في مصر، عموما كانت المؤسسة العسكرية المؤسسة الأكثر حرصا على مصالح روما في مصر[١١٦]. لكنها لم تكترث **بالواقع الولايات المؤلم**، بل راحت تتعسف أكثر في نهب وارداتها، ما انعكس سلبا على الحياة فيها؛ فلما تشدد الرومان في تحصيل ضرائبهم من مصر، تقلصت مساحة الأراضي الصالحة للزراعة، وذلك بسبب هجرة الفلاحين لأراضيهم، فبعد أن وجدوا الفلاحون أنفسهم في وضع سيئ وحرج للغاية، هجروا قراهم، حتى إن قرى بأكملها اختفت بعد أن هجرها سكانها، وخصوصا تلك التي تقع على أطراف الصحراء، حتى أمست أرضا بورا. ومن المعروف أن هذه الأراضي التي تركها سكانها، والتي تقع على حافة الصحراء، كانت نائية ومرتفعة عن سطح الأرض، لذلك لم تعد تصلها مياه النيل، بعد أن أهملت مرافق الري فيها، ولما تركت الأرض بورا فسدت تربتها، بعد أن تعذر وصول مادة الغرين الخصبة إليها، وسرعان ما طمت رمال الصحراء عليها[١١٧]. والأنكى من ذلك أن هذه الفئة الرأسمالية الحاكمة، لم تقم بتطوير الاقتصاد الروماني على أسس علمية، واكتفت بنهب موارد الولايات، فالاعتماد على قمح مصر أدى إلى تدهور زراعة القمح في إيطاليا، وهكذا رغم سيطرة هذه الطغمة من محدثي النعمة على مقدرات الإمبراطورية الرومانية، إلا أنهم فشلوا في أن يكونوا في روما جماعة اقتصادية متجانسة، تقرر إشارات النمو أو الانحسار في النشاط الاقتصادي، وبالتالي لم تكن روما لا لندن ولا نيويورك[١١٨].

لقد كان **الإمبراطور** أحد أهم دعائم النظام الرأسمالي فيها، فهو أكبر مالك في الإمبراطورية، ويشرف على أغنى الولايات فيها، ويحتكر أهم ما تنتج، وكان أغسطس يدير أمور ثروته الطائلة بواسطة موظفيه ومواليه، وقد توزعوا على أملاك الإمبراطور في جميع أطراف الدولة، ليقوموا بجميع الأعمال التي يقتضيها استثمار هذه الأراضي، وكان أغسطس حريصا على استثمار أملاكه؛

لأنه لا قيمة لها ولا شأن، إلا بالنسبة لما يستطيع استغلاله واستثمار ما فيه من خيرات[١١٩]. ولم يستطع الإمبراطور الفصل بصوة حقيقية بين ثروته الخاصة، وبين تلك الأموال التي كان يمتلكها بوصفه أعظم موظف في الدولة الرومانية، ووالیا على أكبر الولايات وأغناها، وملكا على مصر وخليفة للبطالمة عليها، فكلما توسع الإمبراطور في الإنفاق على الأغراض والمشاريع العامة في الدولة، كلما أصبح من العسير التمييز بين موارده الخاصة وبين دخل الدولة العام، وكان ذلك يعني أنه أصبح يتصرف في موارد الدولة كما لو أنها موارده الخاصة[١٢٠].

لقد كان **جشع حكام الولايات** ومحصلي الضرائب موضوعا لشكوى مزمنة من قبل أهالي الولايات في جميع أنحاء الإمبراطورية، ويشهد على جشع حكام الولايات الأباطرة الرومان أنفسهم؛ حدا وصل مع والي مصر آيميلوس ركتوس Aemilius Rectus في عهد الإمبراطور تيبيروس أن أرسل إلى روما ضرائب أكثر من المقررة عليها، ما دفع تيبيروس إلى تعنيفه قائلا: «كان طلبي أن تجز صوف أغنامي، لا أن تسلخها حية»[١٢١]. لم تكن سياسة تيبيروس نابعة من كرم أخلاقه، بل كانت تسند إلى سياسة رومانية عميقة، تهدف إلى تجنب الصدام مع أهالي الولايات الرومانية ما داموا يقدمون ما عليهم، فالمجد يأتي من الانتصار على أعداء الخارج وضم أراضي جديدة للإمبراطورية، ولا يأتي من قمع التمردات في الداخل[١٢٢].

ولا شك إن إصرار تيبيروس على تبني تلك السياسة ومحاسبة موظفيه؛ كان بمثابة فترة التقاط الأنفاس لسكان الولايات الرومانية، يشهد على ذلك نقش تكريمي قدمته إحدى القرى المصرية في سنة ٢٢م، تُسجل فيه اعترافها بفضل الإمبراطور عليها. لكن من المؤسف أن نظام جباية الضرائب الذي وضعه الرومان، والذي كان يسمح عمليا بالرشوة، لم يُعدل من قبل الأباطرة الرومان طوال ١٠٠ سنة من بدء الحكم الروماني لمصر، وكان هذا الأمر بمثابة دعوة مفتوحة للفساد، فطالما قُبلت الرشوة، وتعاقد محصل الضرائب على أن تدفع مبالغا إجماليا مقدما، فغايته أن يحقق الربح من مشروعه بابتزاز الأهالي، ومضاعفة أرباحه عن طريق الإكراه وسلب أموال ضحاياه الذين لاحول لهم ولا قوة، حدا وصل معه أن محصلي الضرائب كانوا يصطحبون معهم جنودا مسلحين لحمايتهم وكان يمكنهم أن يستخدموهم في إرهاب السكان وإساءة معاملتهم[١٢٣].

إن **الأزمة الاقتصادية** التي عصفت بالإمبراطورية الرومانية في سنة ٣٣م، كانت تشير إلى هشاشة النظام الرأسمالي الحاكم في روما، ما ترتب عليه من حالة دين كبيرة تجاه الملاكين الأغنياء، وانخفاض حاد في أسعار الأرض، وارتفاع أسعار العائدات الزراعية، ومعدلات الفائدة، ترافقا مع ذعر شديد في المصارف[١٢٤]. إن هذه الأزمة دفعت الإمبراطور تيبيروس إلى إيقاف العمل بقانون استثمار الأراضي في روما، والقيام بتوزيع مائة مليون سسترس sesterces على المصارف التي أعلنت إفلاسها، وذلك لأجل أن تُقرضها بلا فوائد خلال السنوات الثلاث القادمة، بضمان الأملاك العقارية، لتجنب الأزمة المالية. فاضطر المرابون أصحاب المال إلى إخراج أموالهم المخبأة، وتخفيض سعر الفائدة، مما أسفر عن عودة الثقة إلى الأسواق المالية والتجارية[١٢٥].

كما وقع على عاتق الولايات الرومانية أعباء اقتصادية أخرى تمثلت في **زيارة الأباطرة** لها، والزيارات الشهيرة لمصر من قبل الرومان هي زيارة جرمانيكوس سنة ١٩م، وزيارة هادريان سنة ١٣٠م، وزيارة سبتيموس سيفيروس في سنة ١٩٩م، كما قام بزيارتها الإسكندر سيفيروس،

إن هذه الزيارات كانت ترهق كاهل الأهالي لأنه كان من الواجب عليهم تسليم دوابهم للدولة لتقوم بعمليات النقل عليها، وكان عليهم تقديم سلع إضافية للدولة لتغطية نفقات الزيارة(١٢٦). هذا ناهيك أن الوالي الروماني كان من الواجب عليه أن يقوم بجولة تفتيشية في ولايته في كل سنة، وبالتالي كان يتم توزيع أعباء هذه الرحلة على الأقاليم التي سيزورها الوالي ومن هذه الزيارات جولة قام بها والي مصر على أرسينوي Arsinoe في الفيوم، وعلى Oxyrhynchos وعلى طيبة Thebes. وكانت المدن المصرية التي حصلت على لقب المدينة الأم metropoleis في وادي النيل أن تستقبل الوالي وحاشيته وأن تكرمهم على نفقتها(١٢٧).

ونظرا لاستمرار عجز محاصيل إيطاليا الزراعية في القرن الثاني عن إعالة الإيطاليين استمرت السلطات الحاكمة الرومانية متحكّمة في **تصدير المواد الغذائية** التي تنتجها الولايات الرومانية، بمعنى بقاء الحياة الاقتصادية في تلك الولايات كعهدنا بها في القرن الأول مسخرة لخدمة روما بصورة خاصة. وهذا ما حدا بالإمبراطور تراجان إلى إنشاء موانئ جديدة، أو توسعة الموانئ القديمة على البحرين التريانى والأدرياتيكي، وكان ميناء أوستي Ostie القريب من موقع روما أهم الموانئ الواقعة على البحر التريانى؛ ليؤمن الاتصال البحري بين روما وموانئ الحوض الغربي من البحر المتوسط. بينما قام ميناء بوزول Bouzzolez الواقع على البحر الأدرياتيكي بتأمين الاتصال بين روما وموانئ الحوض الشرقي من البحر المتوسط(١٢٨).

ذلك على المستوى الرسمي أما **على مستوى الأفراد** فقد كان على الجندي الروماني بعد أن يتم خدمته العسكرية أن يغادر إلى الولاية التي أتى منها، لكن كثيرا ما كان الجنود الرومان بعد انتهاء خدمتهم العسكرية يأثرون البقاء في الولاية التي خدموا بها لأسباب مختلفة، وغالبا ما كان يسعى للحصول على مشروع استثماري مناسب، وهناك أمثلة مختلفة من مصر حفظتها لنا مجموعة من أوراق البردي، منها ما يعود لمحارب روماني قديم استوطن في مصر يدعى لوسيوس بيلينوس جمللوس Lucius Bellenus Gemellus أقام في الفيوم بعد تسريحه في سنة ٨٠م، وبردياته تبين أن المحاربين القدماء لم يعملوا بأيديهم في أملاكهم، وإنما استأجروا أناسا للعمل فيها وآخرين كوكلاء عليها، أما هم فكان دورهم الإشراف فقط. وكان الجندي الروماني يبحث عن إحدى الضيع ليستقر بها فور تسريحه، أو ربما قبل تسريحه بعام أو عامين، فإحدى البرديات المصرية المؤرخة بسنة ١٣٦م تبين أن جنديا رومانيا كتب لشقيقه الذي سرح قبله بعام، وذهب إلى قرية قرانص Karanis في الفيوم، أنه يتوقع أنه سيسرح بعد عامين، وأنه يرغب في الإقامة في هذه القرية أيضا وأنه يخشى على حياة شقيقه من القرويين(١٢٩).

وبالعموم كان من الواجب على الجندي الروماني خلال فترة خدمته العسكرية الطويلة التي تصل إلى ربع قرن أن يدخر جزءا من راتبه، وكان يمكنه أن يقوم ببعض الاستثمارات سواء طويلة أم قصيرة الأمد أثناء هذه الخدمة، ومن بين هذه الاستثمارات بيع وشراء العبيد، والمشاركة في أعمال متعددة في مقدمتها القروض المالية؛ التي كان عائدها الشهري يبلغ ١٪، مما يؤدي إلى الزيادة السريعة في رأسمالها، فقد سجل أحد الجنود أنه قام بشراء نوال للنسج بلغ ثمنه ١٣ ألف دراخمة نقدا، وهو مبلغ كبير في فترة التضخم الاقتصادي، كما امتلك قائد مائة مركبا نهريا صغيرا تزن حمولته نجو طن ونصف الطن من الغلال، واستأجر له أحد البحارة ليقوم بتشغيله. ولدينا وصية لقائد آخر من سلاح الفرسان يذكر في قائمة ممتلكاته قوائم بأملاك عسكرية وشخصية متنوعة، إضافة إلى مبلغ نقدي كبير يقدر بثمان قطع ذهبية ومائة وتسعة وتسعون ونصف تالنت

من الفضة، وهذا المبلغ يساوي أكثر من مليون دراخمة، احتفظ بجزء منها في صندوق متين، بينما كان الباقي موزعا على شكل خمسة عشر قرضا(١٣٠).

٩- تقسيم المجتمع المصري:

لقد حرص الرومان على الاستمرار في عدم تجانس المجتمع المصري، فمنذ البداية أصبح هذا المجتمع منقسما إلى فئتين رئيستين من السكان هما المصريون والرومان، وقد فُرضت ضريبة الرأس على جميع المصريين من سن الرابعة عشرة وحتى الستين، وكانت أشد قسوة على سكان الأرياف والفلاحين، لذلك وجد الفلاح المصري في الإمبراطورية الرومانية ربَّ عملٍ غاية في الشدة والصلابة، وهكذا تكتظ الوثائق اللاتينية في مصر الرومانية من الشكوى من ظلم المسؤولين، ومن السخرة، ومن المجاعة وفرار الفلاحين من الأرض، ومن الغلاء، وتضخم الأسعار، وارتفاع الضرائب، فمهما بلغ طمي النيل من خصب، كان أيسر للدولة الرومانية انتزاع الضريبة من الفلاح المصري حتى آخر مليم، دون أن تبذل جهدا في استغلال طاقة الأرض الانتاجية(١٣١)، ولما اشتدت وطأة الحكم الروماني وكثُرت الأعباء لجأ الفلاحون إلى الفرار من أراضيهم، وانضموا بعضهم إلى العصابات، أو كونوا من أنفسهم عصابات للسطو المسلح، التي تكونت من الخارجين عن القانون ليقوموا بمهاجمة القرى ونهب المسافرين(١٣٢).

وهكذا انتشر قطاع الطرق الذين كانوا في الأصل قرويون مصريين دفعهم تعسف الضرائب الرومانية إلى الهرب من قراهم، فقصدوا التلال، أو المستنقعات أو أحراش الدلتا الشمالية، وهناك تحولوا إلى قطاع طرق خارجين عن سلطان الدولة الرومانية، وأُجبر على سرقة متطلبات العيش في سبيل الحفاظ على حياتهم، كما أخذ الذين لجأوا إلى الصحراء الشرقية يغيرون وينهبون القوافل التجارية الرومانية القادمة من الهند إلى روما عبر الطرق الواصلة بين البحر الأحمر ووادي النيل(١٣٣). ما حول الموضوع إلى قضية تؤرق الدولة الرومانية وتزعجها، لاسيما أن هؤلاء الفارين تمكنوا فيما بعد من مواجهتهم بالسلاح، ويبدو أن أخطر ثورة واجهها الرومان في مصر هي الثورة التي عرفت باسم «ثورة الرعاة» سنة١٧٢م في عهد الإمبراطور مارك أوريل (١٦١- ١٨٠م) والتي تمكن فيها المصريون من هزيمة القوات الرومانية، وكادت الإسكندرية أن تقع في قبضتهم، لولا وصول القوات الرومانية من سوريا، والتي تمكنت من القضاء على هذه الثورة(١٣٤). ولعل أصداء ما كان يحدث سنلمسه جليًا عند أبولونيوس Apollonius مؤلف كتاب حياة أغسطس Historia Augusta، الذي وصف المصريين بقطاع الطرق والأشرار وعباد مال، طبعا دون الإشارة إلى تعسف السلطات الرومانية في نهب واردات بلادهم(١٣٥).

إن القاعدة التي وضعها أغسطس ثم حافظ عليها خلفاؤه من بعده مائتي سنة تتلخص في الإبقاء على التمييز الطبقي بين السكان وسعيها الحثيث للمحافظة على الفروق الطبقية بين أفراد المجتمع المصري ومنعهم من الاندماج، لأطول مدة ممكنة(١٣٦). ولما كان الجنود الرومان يحصلون على المال والأرض، والمكانة الرفيعة في المجتمع، ولما كانوا معفيين من دفع ضريبة الرأس؛ تلك الضريبة الثقيلة التي كانت تمثل الخضوع للدولة الرومانية، لكنها أثقلت كاهل الأهالي. تطلع المصريون للحصول على حقوق المواطنة الرومانية عن طريق التطوع في الجيش الروماني، لكن جميع الأبواب في القرن الاول الميلادي كانت مقفلة في وجه المصريين، إذ كان التطوع في الجيش محظورا عليهم، ولعل وهذا ما كرس الفصل العنصري في المجتمع المصري أكثر(١٣٧).

لقد ألف الرومان لاسيما **المحاربون القدماء والموظفون** الذين استقروا في مصر؛ طبقة ارستقراطية داخل المجتمع المصري، وقد حظيت هذه الطبقة العليا بعطف الوالي الروماني، كما كان هو حال الجنود المرتزقة الإغريق من قبلهم في عهد البطالمة(١٣٨). لقد دخل الرومان إلى مصر مع أغسطس كجنود في الفرق الرومانية، أو من أجل القيام بالوظائف الإدارية، أو كرجال أعمال وتجار، وكثيرٌ من هؤلاء استقروا في مصر وكونوا جالية رومانية، ومن بين هذه المصادر الثلاثة كان الجيش الروماني أهم مصدر للرومان في مصر، ذلك أنه كان يضم أصلا أفرادا من جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية وبأعداد كبيرة، وكثيرا ما طالت فترات الهدوء والاستقرار في مصر، فكان من الطبيعي أن يبحث هؤلاء الجنود لأنفسهم عن مجالات أخرى لنشاطهم، خاصة وأن فترة الجندية في الجيش الروماني كانت تمتد عادة إلى خمسة وعشرين سنة، وهي أفضل سنوات العمر ونضج الإنسان، لذلك لم يكن مستغربا أن يخرج الجنود من معسكراتهم وأن يتصلوا بالأهالي في مختلف وجوه الحياة الاقتصادية والاجتماعية، رغم مخالفة ذلك لقوانين الجيش الروماني، إذ كان محظورا على الجندي الروماني أن يتزوج طوال مدة خدمته العسكرية من الناحية القانونية، لكن في الواقع كثيرا ما أنشأ الجنود الرومان علاقات خاصة مع النساء المصريات من أهل البلد، وأنجبوا منهن أطفالا غير شرعيين في نظر القانون. ولم تقف الدولة الرومانية اتجاه هذه الحالات موقفا متزمتا، بل أغمضت عينها عما كان جاريا، فعند تسريح الجندي كان يعترف القانون بزوجته، التي تم الزواج بها بصورة غير قانونية أثناء الخدمة العسكرية، وعندها كان الجنود وزوجاتهم وأبنائهم يمنحون المواطنة الرومانية(١٣٩).

إن هذه المسألة القانونية المعقدة ماثلة في عدد من أوراق البردي التي وصلتنا من مصر الرومانية، فهناك نحو سبع حالات أرخت ما بين ١١٤ – ١٤٢م، ومعرضها هو أن الأطفال الذين ولدوا أثناء خدمة آبائهم كانوا يعدون أطفالا غير شرعيين، وسواء كان آبائهم مواطنين رومان خدموا في الفيالق الرومانية أم أنهم خدموا في الوحدات المساعدة، مثل هؤلاء الأطفال ما كان لهم الحق بالمطالبة بعقارات آبائهم، كما حرمت زوجاتهم من اعتراف القانون بشرعية زواجهن، والحقوق المترتبة لهن بموجب عقد الزواج، إذ لا يحق لإحداهن أن تطالب برد مهرها إذ طلقها زوجها، لذلك كان الجنود الرومان الراغبين بالزواج يتركون ايداعات لزوجاتهم كنوع من التحايل على القانون، فتكون هذه الايداعات بمثابة المهر(١٤٠).

منذ بدأ الجنود الرومان يسكنون في قرى المصريين ومدنهم، كان الجندي الروماني حر الخيار، إما أن يكون وجوده خيرا على القرية إذا اندمج بساكنيها، ويمكن أن يكون لعنة عليها إذا استعلى واستكبر بماله وقوته وسعة أرضه. لكن بالمجمل لم يرحب المصريون بالجنود الرومان في قراهم وبلداتهم، ولم ينظروا على أن استقرار الجنود الرومان بينهم خيرا ونعمة، بل نظروا لهم على أنهم جيران سوء، وسبب ذلك أن معظم هؤلاء الجنود الرومان كانوا من أصول متواضعة، وحتى يخفوا عقد نقصهم تعالوا على المصريين ونظروا لهم ازدراء، أحد أوراق البردي المؤرخة بسنة ١٦٢م هي عبارة عن عريضة قدم بها مقاتل روماني يدعى جايوس يوليوس نيجر Gaius J Niger تلقى الإهانة والازدراء على يد رجل مصري، إن نص الخطاب ليس كاملا لكننا نستطيع أن نقرأ منه «إن الإصابات التي اصابتني واضحة.. أيعقل وأنا رجل روماني أعاني من المذلة على يد المصريين، فإني أطالب ..»(١٤١). هناك حادثة أخرى مشابهة مؤرخة بسنة ١٥٣م يتحدث فيها جندي روماني يدى جايوس مافيوس إبليس Gaius M Apelles أنه تعرض للجلد في قرية

فيلاديفيا في الفيوم بالحبال والسياط على يد اثنين من الحراس بأمر من حاكم الإقليم، وقد شهد عليها سبعة مواطنين رومان، وحساسية هذه القضية أنها كانت مثيرة لمشاعر الرومان أكثر من أي قضية أخرى، بحكم أنه صدر قانون في أعقاب تأسيس الجمهورية بمنع أي حاكم روماني من إصدار حكم الإعدام أو الجلد على مواطن روماني دون إعطائه حق الاستئناف، وهنا نجد مجرد موظف في ولاية يعتدي على مواطن روماني بطريقة كانت محرمة على كبار حكام روما(١٤٢).

ولعل أبشع سياسات روما الاستعمارية على الصعيد الاجتماعي هو **دعمها للأقليات العرقية والدينية** على حساب الأغلبية في المجتمع، وفق مبدأ «فرق تسد Divide et Impera»؛ إذ وجد الرومان في **اليهود** فئة أجنبية عن البلاد يمكن استمالتها واستخدامها لصالحها، لذلك سارع الإمبراطور أغسطس إلى الاعتراف بجميع الامتيازات والنظم التي تمتع بها اليهود في العصر البطلمي، فأقر حريتهم الدينية، وسمح لهم بالمحافظة على رابطتهم العنصرية المعروفة باسم بوليتيوما Politeuma بما لها من رئيس Ethuarch ومجلس شيوخ؛ المعروف باسم جيروزيا Gerousia(١٤٣)، وقد دون الكاتب اليهودي فيلون Philon (الذي توفي بعد سنة ٤٠م) أن أوغسطس أصدر قرارا جاء فيه «**إن اليهود قد أثبتوا ولائهم للشعب الروماني في الماضي والحاضر، لذلك يُسمح لهم أن يمارسوا عاداتهم طبقا لشعائر آبائهم**»(١٤٤)، وهو أمر اعتزوا به كل الاعتزاز، نظرا لأن أغسطس رفض السماح لأبناء مدينة الإسكندرية بممارسة حياتهم السياسية عن طريق المجلس التشريعي للمدينة والمعروف باسم Boule، وكان وضع اليهود الممتاز وعطف الرومان عليهم مصدر إثارة الشحناء والغضب عليهم من قبل سكان مدينة الإسكندرية، ما أدى إلى كثير من حوادث الفتن والاضطرابات بين الفريقين في هذه المدينة خلال العصر الروماني(١٤٥).

الخاتمة:

بعد أن احتل أغسطس مصر وضع السياسة التي مكنته من السيطرة على مصر إبقائها تحت رقابته المباشرة، حتى لا تتكرر تجربة أنطونيوس. ثانيا: انتهج أغسطس في مصر سياسة خولته وضع يده على خطوط التجارة الدولية الواصلة بين روما والإسكندرية والمحيط الهندي والبحر المتوسط. ثالثا انتهج الرومان اتجاه المصريين سياسة غير عادلة؛ تمثلت في حرمان المصريين من حق المشاركة في إدارة بلادهم، وعزل مصر عن محيطها الخارجي، واتباع نهج التمييز العنصري وتفتيت المجتمع المصري، وإفقاره وتحويل أعداد كبيرة منه إلى قطاع طرق من خلال التعسف في فرض الضرائب والسخرة، رابعا: عمد الرومان إلى تشويه صورة الشخصية المصرية، ونشر ثقافة الهزيمة والاستسلام، والأنكى من كل ذلك فرض قوانين حرمت المصريين من التطوع في الجيش ومن الحصول على حق المواطنة الرومانية. خامسا: عمد أغسطس إلى نشر الجيش الروماني في مصر في مناطق تحفظ مصالح روما وأمنها، دون الاكتراث لأمن المدن المصرية وسلامتها. سادسا: عمد الرومان إلى حماية أمن وسلامة حدود مصر الجنوبية حتى يتسنى لهم التغلغل فيها أكثر. سابعا: قمع الرومان مع ثورات مصر الداخلية بمنتهى القسوة، إذ لم يكن في نيتهم تبديل النظام المتبع فيها، والذي استمر نحو ٢٣٠ سنة دون تبديل. ثامنا: لقد بقي الريف المصري بعيدا عن المؤثرات الثقافية الرومانية، وكان عليه فقط أن يقدم المنتجات الغذائية. وعلى

رأسها القمح لروما، إذ كانت مصر ملزمة بتقديم ثلث انتاجها من القمح لروما. تاسعا: مد الرومان شبكة من الطرق السريعة في ولاية مصر في يخدم مصالحهم، لذلك كانت معظم هذه الطرق في الصحراء الشرقية لربط البحر الأحمر بوادي النيل، دون تخديم القرى المصرية بأي شكل من أشكال المواصلات.

المراجع العربية والمعربة:

١) أبو اليسر فرح، الشرق الأدنى في العصرين الهلنستي والروماني، عين للبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٢م.
٢) أسمهان الجرو، موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)، كلية الآداب، جامعة عدن ١٩٩٦م.
٣) أشرف صالح سيد، تيبيروس ثاني أباطرة الرومان ٤٢ ق.م - ٣٧م، شركة الكتاب العربي الإلكتروني، بيروت ٢٠٠٨م.
٤) أميرة الحديني، أبرز صور الصراع بين الإسكندرانيين والأباطرة الرومان، مجلة البحوث والدراسات الأثرية، العدد ٣، سبتمبر ٢٠١٨م.
٥) أندرية إيمار، جانين أوبوايه، تاريخ الحضارات العام، روما وإمبراطوريتها، ترجمة فريد داغر وفؤاد أبو ريحان، ط٢، منشورات عويدات، باريس-بيروت ١٩٨٦م.
٦) باتريك لورو، الإمبراطورية الرومانية، ترجمة جورج كتوره، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي ٢٠٠٨م.
٧) بديع العمر، الجيش الروماني البري في الفترة الإمبراطورية (٣١ ق.م - ٢٨٤م)، رسالة معدة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة دمشق ٢٠١٠م.
٨) بورسوك، الأنباط الولاية العربية الرومانية، ترجمة آمال محمد الروبي، مراجعة محمد إبراهيم بكر، المشروع القومي للترجمة ١٠٦٣، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٦م.
٩) جورج حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى، ترجمة بكر يعقوب، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٨م.
١٠) رستوفتزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاقتصادي والاجتماعي، ترجمة زكي علي، دار النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٧م.
١١) سترابون، الجغرافيا، ترجمة: حسان اسحق، دار علاء الدين، دمشق ٢٠١٧م.
١٢) سليمان الذيب، الحملة الرومانية الأولى على جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤٣٦هـ.
١٣) سيد الناصري، الرومان والبحر الأحمر، الدارة، العدد ٢، الرياض ١٩٨١م.

١٤) سيد الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ط٢، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩١م.
١٥) شيفمان، المجتمع السوري في عصر البرينسيبات، من القرن ١-٣م، ترجمة حسان إسحق، دمشق ١٩٨٧م.
١٦) عبد اللطيف أحمد علي، مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية، ط٢، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٨م.
١٧) مأمون الخطيب، الطرق الرومانية في سورية، دراسة تاريخية أثرية (٦٤ ق.م-٣٣٠م) رسالة معدة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم، د.ت.
١٨) محمد الزين، محمد محفل، دراسات في تاريخ الرومان، ج٢، ط٨، منشورات جامعة دمشق، دمشق ٢٠٠٥م.
١٩) محمد الزين، الآثار الرومانية، منشورات جامعة دمشق، دمشق ١٩٩١م.
٢٠) محمد عبد الغني، لمحات من تاريخ مصر تحت الحكم الروماني، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة ١٩٩٩م.
٢١) محمد عواد حسين، الثورة الرومانية، المرحلة الثالثة، الصراع بين بومبي وقيصر حتى الحرب الأهلية ٧٩- ٥٠ ق.م، مجلة عالم الفكر، الصادرة عن المجلس الأعلى للآداب في الكويت، مج ١٢، العدد ٣.
٢٢) محمد الميداني، الحياة الاقتصادية في سورية في العصر الروماني ٦٤ ق.م – ٣٠٥م، أطروحة معدة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ القديم، جامعة دمشق ٢٠١٥م.
٢٣) مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية، النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة ١٩٩٩م.
٢٤) نافتالي لويس، الحياة في مصر في العصر الروماني ٣٠ ق.م – ٢٨٤م، ترجمة وتعليق آمال الروبي، مراجعة محمد حمدي إبراهيم، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة ١٩٩٧م.
٢٥) نور الدين حاطوم، وأحمد طربين، صلاح مدني، نبيه عاقل، موجز تاريخ الحضارة، ج١: حضارات العصور القديمة، مطبعة الكمال، دمشق ١٩٦٥م.

المراجع الأجنبية:

١) Adams, C., Irregular levies and the impact of the roman army in Egypt., Downloaded from Brill, com/26/7/2023.
٢) Boak, A, E, R., A History of Rome to 565 A.D., New York 1921.
٣) Bryen, A, Z., Violence in Roman Egypt, A Study in Legal Interpretation., University of Pennsylvania Press Philadelphia 2013.
٤) D'Amato, R., Roman Army Units in the Eastern Provinces 31 BC – AD 195., Britain., 2017.

٥) Dillon, M., & Garland, L., The Ancient Romans; History and Society from the Early Republic to the Death of Augustus., published by Routledge., New York 2021.
٦) Dio Cassius, Roman History., Loeb Classical Library, London 1970.
٧) Graftion Milne, M. A, History of Egypt Under Roman Rule, New York 1898.
٨) Gruen, E. S, The Augustan Empire 43 B.C – 69 A.D., The Cambridge Ancient History., Vol X; The expansion of the empire Under Augustus; Egypt Ethiopia and Arabia., Chapter 4; Cambridge University Press 1996.
٩) Hardy, Th. A., Gods, Armies, and Tax Collectors: Cultural Connection in Roman Egypt, Thomas Hardy is a senior history major from Derry, New Hampshire. He wrote this paper for Dr. Lee Patterson's.
١٠) Philon, in flaccum., Translation by: Colson, Loeb Classical Library, London 1979.
١١) Leiwo, Y, M, P., Multilingual military forts in Roman Egypt., Lingue antiche e moderne, vol 7; October 2018.
١٢) Renatus, F, V., The Military Institutions of the Romans [Epitoma rei militaris - 390 A.D]., Translated by Lieutenant John Clarke 1940.
١٣) Scheidel, W., Marriage, families, and survival in the Roman imperial army: demographic aspects., Princeton/Stanford Working Papers in Classics., Stanford University 2005.
١٤) Wiseman, R., On the back of the army: *A comparative study of Romanization in Britain and Egypt*, A thesis submitted in partial fulfillment of the requirements for the Master of Arts in History., University of Nevada, Las Vegas, December 2011.

---

(١) عبد اللطيف أحمد علي، مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية، ط٢، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٨م، ص١٣.

٢) محمد عواد حسين، الثورة الرومانية، المرحلة الثالثة، الصراع بين بومبي وقيصر حتى الحرب الأهلية ٧٩-٥٠ ق.م، مجلة عالم الفكر، الصادرة عن المجلس الأعلى للآداب في الكويت، مج ١٢، العدد ٣، ص١٠٤.

3) Wiseman, R., On the back of the army: A comparative study of Romanization in Britain and Egypt, A thesis submitted in partial fulfillment of the requirements for the Master of Arts in History., University of Nevada, Las Vegas, December 2011, p.61.

٤) نافتالي لويس، الحياة في مصر في العصر الروماني ٣٠ ق.م – ٢٨٤م، ترجمة وتعليق آمال الروبي، مراجعة محمد حمدي إبراهيم، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة ١٩٩٧م، ص٣٩.

(٥) عبد اللطيف أحمد علي، مصر والإمبراطورية الرومانية، ص٤٢.

6) Wiseman, R., Op. Cit., 2011, p.79, 80.

٧) سيد الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ط٢، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩١م، ص٥٩.

٨) محمد الزين، محمد محفل، دراسات في تاريخ الرومان، ج٢، ط٨، منشورات جامعة دمشق، دمشق ٢٠٠٥م، ص٦٣.

9) Dillon, M., & Garland, L., The Ancient Romans; History and Society from the Early Republic to the Death of Augustus., published by Routledge., New York 2021, p.676.

١٠) شيفمان، المجتمع السوري في عصر البرينسيبات، من القرن ١-٣م، ترجمة حسان إسحق، دمشق ١٩٨٧م، ص٥٥.

(١١) عبد اللطيف أحمد علي، مصر والإمبراطورية الرومانية، هامش ص٤٨.

12) Hardy, Th. A., Gods, Armies, and Tax Collectors: Cultural Connection in Roman Egypt, Thomas Hardy is a senior history major from Derry, New Hampshire. He wrote this paper for Dr. Lee Patterson's, p.2.

13) Wiseman, R., Op. Cit., 2011, p.64.

١٤) أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصر البطالمة والرومان، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة ٢٠٠٢م، ص١٦٦.

15) Wiseman, R., Op. Cit., 2011, p.65

١٦) مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية، النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة ١٩٩٩م، ص١١٣.

١٧) محمد عبد الغني، لمحات من تاريخ مصر تحت الحكم الروماني، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة ١٩٩٩م، ص٧٢.

(١٨) محمد الميداني، الحياة الاقتصادية في سورية في العصر الروماني ٦٤ ق.م – ٣٠٥م، أطروحة معدة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ القديم، جامعة دمشق ٢٠١٥م. ص٣٤٢.

19) Gruen, E. S, The Augustan Empire 43 B.C – 69 A.D., The Cambridge Ancient History., Vol X; The expansion of the empire Under Augustus; Egypt Ethiopia and Arabia., Chapter 4; Cambridge University Press 1996, p.148.

٢٠) مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية، ص١٨٠.

٢١) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٧، الفصل ١، الفقرة ١٢. ترجمة: حسان اسحق، دار علاء الدين، دمشق ٢٠١٧م.

22) Bryen, A, Z., Violence in Roman Egypt, A Study in Legal Interpretation., University of Pennsylvania Press Philadelphia 2013, p.31.

٢٣) سيد الناصري، الإمبراطورية الرومانية، ص٦٠.

24) Gruen, E. S, Op. Cit., 1996, p.148

25) Graftion Milne, M. A, History of Egypt Under Roman Rule, New York 1898, p.18

٢٦) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٧، الفصل ١، الفقرة ٥٣.

٢٧) سيد الناصري، الإمبراطورية الرومانية، ص٥٨.

٢٨) عبد اللطيف أحمد علي، مصر والإمبراطورية الرومانية، ص٤٥. وانظر: سيد الناصري، الإمبراطورية الرومانية، ص٥٨.

29) Graftion Milne, M. A, Op. Cit., 1898, p.20

٣٠) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٦، الفصل ٤، الفقرة ٢٣.

٣١) سيد الناصري، الرومان والبحر الأحمر، الدارة، العدد ٢، الرياض ١٩٨١م، ص١٣. وانظر: عبد اللطيف أحمد علي، مصر والإمبراطورية الرومانية، ص٤٥.

٣٢) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٧، الفصل ١، الفقرة ١٣.

٣٣) سيد الناصري، الإمبراطورية الرومانية، ص٧٦، ٧٧.

34) Graftion Milne, M. A, Op. Cit., 1898, p.21

35) Gruen, E. S, Op. Cit., 1996, p.150

(٣٦) أندرية إيمار، جانين أوبوايه، تاريخ الحضارات العام، روما وإمبراطوريتها، ج٢، ترجمة فريد داغر وفؤاد أبو ريحان، ط٢، منشورات عويدات، باريس-بيروت ١٩٨٦م، ص٢٨٢.
(٣٧) سيد الناصري، الرومان والبحر الأحمر، ص٢٤.
(٣٨) سليمان الذيب، الحملة الرومانية الأولى على جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ١٤٣٦هـ، ص٥٨.
39) Boak, A, E, R., A History of Rome to 565 A.D., New York 1921, p.262.
(٤٠) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٧، الفصل ١، الفقرة ٤٨.
(٤١) المصدر نفسه، الكتاب ١٧، الفصل ١، الفقرة ٤٩.
42) Gruen, E. S, Op. Cit., 1996, p.150
(٤٣) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٧، الفصل ١، الفقرة ٥٤.
(٤٤) المصدر نفسه، الكتاب ١٧، الفصل ١، الفقرة ٥٣.
45) Gruen, E. S, Op. Cit., 1996, p.151.
46) Boak, A, E, R., Op. Cit., 1921, p.262.
(٤٧) أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصر البطالمة والرومان، ص١٧٣.
(٤٨) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٧، الفصل ١، الفقرة ٥٤.
(٤٩) أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصر البطالمة والرومان، ص١٧٣.
(٥٠) سيد الناصري، الرومان والبحر الأحمر، ص١٦.
(٥١) أبو اليسر فرح، تاريخ مصر في عصر البطالمة والرومان، ص١٧٣.
52) Gruen, E. S, Op. Cit., 1996, p.151.
(٥٣) محمد عبد الغني، لمحات من تاريخ مصر، ص٧٩.
(٥٤) أندريه إيمار، جانين أوبوايه، روما وإمبراطوريتها، ج٢، ٢٧٤.
(٥٥) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٧، الفصل ٢، الفقرة ١.
(٥٦) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٧، الفصل ١، الفقرة ٣.
57) Wiseman, R., Op. Cit., 2011, p.65.
58) Renatus, F, V., The Military Institutions of the Romans [Epitoma rei militaris - 390 A.D]., Translated by Lieutenant John Clarke 1940, p.30.
(٥٩) باتريك لورو، الإمبراطورية الرومانية، ترجمة جورج كتوره، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي ٢٠٠٨م، ص٩٥.
60) Wiseman, R., Op. Cit., 2011, p.60.
61) Scheidel, W., Marriage, families, and survival in the Roman imperial army: demographic aspects., Princeton/Stanford Working Papers in Classics., Stanford University 2005, p.2.
62) Wiseman, R., Op. Cit., 2011, p.84.
63) Bryen, A, Z., Op. Cit., 2013, p.28.
(٦٤) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٧، الفصل ١، الفقرة ٥٣.
(٦٥) المصدر نفسه، الكتاب ١٧، الفصل ١، الفقرة ٣.
66) Dio Cassius, Roman History (Loeb Classical Library, London 1970), Vol. 6, Book LI, Paragraph 17.
67) Bryen, A, Z., Op. Cit., 2013, pp.31, 32.
68) Wiseman, R., Op. Cit., 2011, p.62.
69) Gruen, E. S, Op. Cit., 1996, p.192.
(٧٠) نافتالي لويس، الحياة في مصر في العصر الروماني، ص١٩.
71) Wiseman, R., Op. Cit., 2011, p.66.
72) D'Amato, R., Roman Army Units in the Eastern Provinces 31 BC – AD 195., Britain., 2017, p.10.
73) Renatus, F, V., Op. Cit., 1940, p.30.
74) Leiwo, Y, M, P., Multilingual military forts in Roman Egypt., Lingue antiche e moderne, vol 7; October 2018, pp.169,170.
(٧٥) أندريه إيمار، جانين أوبوايه، روما وإمبراطوريتها، ج٢، ص٢٧٢.
76) Wiseman, R., Op. Cit., 2011, pp.79, 80.

(٧٧) محمد عبد الغني، لمحات من تاريخ مصر، ص٩٠.
(٧٨) أندريه إيمار، جانين أوبوايه، روما وإمبراطوريتها، ج٢، ٢٧٣.
79) Adams, C., Irregular levies and the impact of the roman army in Egypt., Downloaded from Brill, com/26/7/2023, pp.282, 283.
(٨٠) أسمهان الجرو، موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)، كلية الآداب، جامعة عدن ١٩٩٦م، ص١٩٦.
(٨١) بورسوك، الأنباط الولاية العربية الرومانية، ترجمة آمال محمد الروبي، مراجعة محمد إبراهيم بكر، المشروع القومي للترجمة ١٠٦٣، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٦م، ص١٢٩، ١٣٠.
(٨٢) أندريه إيمار، جانين أوبوايه، روما وإمبراطوريتها، ج٢، ص٢٨٩.
83) Leiwo, Y, M, P., Op. Cit., 2018, p.168.
84) Wiseman, R., Op. Cit., 2011, p.78.
(٨٥) أشرف صالح سيد، تيبيروس ثاني أباطرة الرومان ٤٢ ق.م - ٣٧م، شركة الكتاب العربي الإلكتروني، بيروت ٢٠٠٨م، ص٢٨.
86) Graftion Milne, M. A, Op. Cit., 1898, p.26,27
(٨٧) محمد عبد الغني، لمحات من تاريخ مصر، ص٨٣، ٨٤.
(٨٨) محمد عبد الغني، لمحات من تاريخ مصر، ص٨٧.
(٨٩) محمد عبد الغني، لمحات من تاريخ مصر، ص٩٢.
(٩٠) سيد الناصري، الرومان والبحر الأحمر، ص٣٦.
(٩١) محمد عبد الغني، لمحات من تاريخ مصر، ص٩٢.
(٩٢) أميرة الحديني، أبرز صور الصراع بين الإسكندرانيين والأباطرة الرومان، مجلة البحوث والدراسات الأثرية، العدد ٣، سبتمبر ٢٠١٨م، ص٨٧.
(٩٣) رستوفتزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاقتصادي والاجتماعي، ترجمة زكي علي، دار النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٧م، ص٨٧.
(٩٤) أميرة الحديني، أبرز صور الصراع، ص١٧٣.
(٩٥) نور الدين حاطوم، وأحمد طربين، صلاح مدني، نبيه عاقل، موجز تاريخ الحضارة، ج١: حضارات العصور القديمة، مطبعة الكمال، دمشق ١٩٦٥م، ص٦٠٠.
(٩٦) مأمون الخطيب، الطرق الرومانية في سورية، دراسة تاريخية أثرية (٦٤ ق.م- ٣٣٠م) رسالة معدة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم، د.ت، ص١٤٩.
(٩٧) سيد الناصري، الرومان والبحر الأحمر، ص١٥.
(٩٨) سترابون، الجغرافيا، الكتاب ١٧، الفصل ١، الفقرة ١٥.
99) D'Amato, R., Op. Cit., 2017, pp.6,7.
100) Leiwo, Y, M, P., Op. Cit., 2018, p.168.
(١٠١) جورج حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى، ترجمة بكر يعقوب، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٨م، ص٨٦.
(١٠٢) سيد الناصري، الرومان والبحر الأحمر، ص٤١.
(١٠٣) محمد الزين، الآثار الرومانية، منشورات جامعة دمشق، دمشق ١٩٩١م، ص١٤٢.
(١٠٤) نور الدين حاطوم، وآخرون، موجز تاريخ الحضارة، ج١، ص٥٩٨، ٥٩٩.
(١٠٥) نافتالي لويس، الحياة في مصر في العصر الروماني، ص٣٩.
(١٠٦) سيد الناصري، الإمبراطورية الرومانية، ص٦١.
(١٠٧) نافتالي لويس، الحياة في مصر في العصر الروماني، ص٢٧.
(١٠٨) مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية، ص١٩٩.
(١٠٩) محمد عبد الغني، لمحات من تاريخ مصر، ص٨٠.
(١١٠) مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية، ص١٩٩، ٢٠٢.
(١١١) رستوفتزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ص١٤٩.
(١١٢) محمد الزين، محمد محفل، دراسات في تاريخ الرومان، ج٢، ص١٧٩.
(١١٣) مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية، ص١٠٩.
(١١٤) نافتالي لويس، الحياة في مصر في العصر الروماني، ص١٨٤.
115) Adams, C., Op. Cit., 2023, p.285.
116) Hardy, Th. A., Op. Cit., p.2.
(١١٧) نافتالي لويس، الحياة في مصر في العصر الروماني، ص١١٨.

(١١٨) باتريك لورو، الإمبراطورية الرومانية، م.س، ص٧٧.
(١١٩) أندرية إيمار، جانين أوبوايه، روما وإمبراطوريتها، ج٢، ص٣٦٩.
(١٢٠) محمد الزين، محمد محفل، دراسات في تاريخ الرومان، م.س، ص٤٧.
(١٢١) نافتالي لويس، الحياة في مصر في العصر الروماني، ص١٧٨.
(122) Wiseman, R., Op. Cit., 2011, p.18.
(١٢٣) نافتالي لويس، الحياة في مصر في العصر الروماني، ص١٧٨، ١٧٩.
(١٢٤) باتريك لورو، الإمبراطورية الرومانية، م.س، ص٨١.
(١٢٥) محمد الميداني، الحياة الاقتصادية، م.س، ص٣٤٣.
(126) Adams, C., Op. Cit., 2023, p.287.
(127) Ibid, p.288.
(١٢٨) نور الدين حاطوم، وآخرون، موجز تاريخ الحضارة، ج١، ص٦٠٣.
(١٢٩) بديع العمر، الجيش الروماني البري في الفترة الإمبراطورية (٣١ ق.م - ٢٨٤م)، رسالة معدة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة دمشق ٢٠١٠م، ص٤٦٠.
(١٣٠) نافتالي لويس، الحياة في مصر في العصر الروماني، ص٢٥.
(١٣١) محمد الزين، محمد محفل، دراسات في تاريخ الرومان، ج٢، ص١٧٨، ١٧٩.
(١٣٢) نافتالي لويس، الحياة في مصر في العصر الروماني، ص١٨٢.
(133) Wiseman, R., Op. Cit., 2011, pp.79, 80.
(١٣٤) مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية، ص١٦٩.
(135) Bryen, A, Z., Op. Cit., 2013, p.33.
(١٣٦) نافتالي لويس، الحياة في مصر في العصر الروماني، ص٣٦.
(137) Wiseman, R., Op. Cit., 2011, p.83.
(١٣٨) محمد الزين، محمد محفل، دراسات في تاريخ الرومان، ج٢، ص١٧٩.
(١٣٩) مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية، ص١٦٠.
(140) Scheidel, W., Op. Cit., 2005, p.2.
(141) Wiseman, R., Op. Cit., 2011, p.83.
(١٤٢) نافتالي لويس، الحياة في مصر في العصر الروماني، ص٢٧، ٢٨.
(١٤٣) مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية، ص١٧٢.
(144) Philon, in flaccum., Translation by: Colson, Loeb Classical Library, London 1979; 50.
(١٤٥) مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية، ص١٧٢.